



عَبْدالله بن حَمَد الرّكف



مَدْخَلٌ إِلَى فِقْهِ أَرْكَانِ الإِيمَان

ح شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الركف، عبد الله بن حمد بن عبد العزيز

ميثاق - مدخل إلى أركان الإيمان./ عبد الله بن حمد عبد العزيز الركف - الرياض، ١٤٤٢هـ.

٢١١ص؛ ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٦-٥-٩١٥٣٨-٦٠٣-٩٧٨

١ - أركان الإسلام ٢ - الإيمان (الإسلام)

أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٢/٦٨٧٢

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٦٨٧٢

ردمك: ٦-٥-٩١٥٣٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



مَدخلٌ إلى فِقهِ أركانِ الإيمان

عبدالله بن حمد الرّكف



فهرس الموضوعات

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فهذا الكتاب مدخلٌ علميٌّ لفقه «الإيمان»، سعيتُ فيه إلىٰ تقييد خلاصاتٍ مركَّزةٍ شاملةٍ لقضاياه، بأسلوبٍ توخَّيتُ فيه مناسبة عموم القراء.

وقد كان جوهر الكتاب متعلِّقًا بأركان الإيمان الستة، فذكرت في كلٍّ منها حقيقتَه وثمراتِه، مع ما يختصُّ به كلُّ ركنٍ من خصوصيَّاتٍ معرفيَّة، كما تضمَّن الكتاب النظرَ في وسائل زيادة الإيمان، وما يناقضه.

وقد قدمتُ الكتاب بمدخلين: معرفيٍّ ومنهجيٍّ، كان الغرضُ منهما وضعَ أُطُرٍ كلِّيَّةٍ لدارس المعتقد ومتعلَّقات الإيمان، فتضمَّن المدخل الأول البحثَ في مصادر المعرفة، ومكانة الوحي، وعلاقته بالعقل والعلم. وفي المدخل الثاني تعرَّضتُ لمصادر التلقي، وحجية السنة، وقواعد الاستدلال.

ثم ختمت الكتاب بما يتصل بمنهج التعامل مع الشبهات، ليكون المسلم علىٰ بصيرةٍ فيما يَعرِض له من شبهاتٍ.

هـذا، وأتقدم بالشكر لكل من تفضّل بمراجعة مسودة الكتاب، وأفادني بملاحظته ورأيه.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه، نافعًا لكاتبه وقارئه ودارسه.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء وخير المرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإنَّ الإنسان بفطرته كائن يميل إلىٰ الإيمان، فهو محتاج بالضرورة إلىٰ ركن يستمد منه الاطمئنان، والاستقرار النفسي والأمان، يحتاج إلىٰ ميزان يزن به احتياجات نفسه وفطرته ومتطلبات وجوده، يحتاج إلىٰ إيمان يسكن إليه عندما تثور في عقله أسئلة الوجود الكبرىٰ، ما هذه الحياة؟ ومن أين جئت؟ ولماذا؟ وماذا بعدها؟ فالحياة بلا إيمان، حياة بلا معنىٰ. إنَّ هذه الأسئلة مشروعة لكل إنسان، فهي أسئلة المعنىٰ، بل من دونها لا يكون الإنسان إنسانًا. هذه الأسئلة نابعة من أعماق النفس الإنسانية التي لا يختلف علىٰ أهميتها اثنان مهما تنوعت الثقافات والمشارب، ومن فقد الإجابة عن هذه الأسئلة عاش فاقدًا للمعنىٰ في الحياة والفائدة من ورائها، وأصبحت قِيَمه ومبادئه سائلة، لا يميز صوابًا من خطأ، بل تجده يلهث وراء الملهيات والملذات هربًا من ضغط فقدان معنىٰ الحياة.

وعليه فإنَّ أعظم واجب كُلِّف به الإنسان هو تعلم الإيمان الذي يحقق له معنىٰ الحياة، ولذلك فإنَّ تعلم الإيمان الصحيح ودراسته من أهم المهمات التي يحتاج إليها المسلم، فبالعلم يصحح إيمانه، وبالعلم يكون العمل. إنَّ حقائق الإيمان تضبط الفكر، وتوجه العمل، وتشكل القيم، وتوزن بها كل شؤون الحياة.

لماذا الحديث عن أركان الإيمان؟

إنَّ من الأهداف الرئيسة للحديث عن الإيمان أنَّه يعيد الحياة إلىٰ القلب ويزيد انشراحه ونوره، ويجعل الإنسان مدركًا لطبيعة خلقه، عالمًا بأسباب وجوده، عارفًا للطريقة الصحيحة التي يجب أن يعيش بها ويموت عليها. هذه الحياة المستمرة للقلوب تتطلب زادًا معرفيًّا وعمليًّا لا يستطيع المؤمن أن يذوق حلاوة الإيمان الحقيقي إلا به، فبالعلم يعرف حقيقة الطريق، ويتحرر من سيطرة هواه ورغباته النفسية والدنيوية، وبالعمل يزداد مستوىٰ الإيمان في قلبه ويرسخ ويرتقي مراقي الفلاح، فالإيمان طائر أحد جناحيه العلم، والآخر العمل.

فإذا توازن الأمران تحققت للإنسان مرتبة الإحسان، وهي: «**أَنْ تَعبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تراه، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ**» (رواه البخاري:٤٧٧٧)، فيُحْسِن المؤمنُ في عبادته متطلبًا تحقيق أركانها وشروطها وواجباتها وسننها، ويُحْسِن في تعامله مع الخلق متطلبًا كمال النصح والصدق والإحسان لهم، وبعد هذا وذاك يحرص علىٰ الابتعاد عن آفات الأعمال والأقوال التي تُبطلها أو تُنقصها، لأنه يرىٰ الله في جميع شأنه وعمله وقوله. وإن لم يصل المؤمن إلىٰ رتبة المشاهدة، انتقل إلىٰ الرتبة التي تليها؛ وهي أن يعلم أنه يعمل علىٰ مرأىٰ من الله ومسمع، فيجتهد غاية الاجتهاد في إتقان العمل، وتكون مشاعره منطلقة من وحي إيمانه، فإنه بهذا يستكمل الإيمان، لأنَّ «**من أحبَّ للهِ، وأبغض للهِ، وأعطَىٰ للهِ، ومنع للهِ، فقد استكمل الإيمانَ**» (رواه أبو داود:٤٦٨١)، أي: مَن جعل حياته كلَّها لله؛ كمل إيمانه، وإنَّما خصَّ هذه الأفعال الأربعة، لأنَّها حظوظ نفسية، ومن استطاع أن يجعل هذه الأمور لله تعالىٰ، كان علىٰ غيرها أقدر.

وعندما يصل المؤمن إلىٰ هذه المنزلة الرفيعة من الإيمان؛ تتحقق له مكانة عجيبة، إذ يكون جميعُ أمرِه خيرًا، ومن خيرٍ وإلىٰ خير، قال النبي ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ**

المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبرَ فَكانَ خَيْرًا له» (رواه مسلم:٢٩٩٩)، فالمؤمن فقط هو من يُؤْجَر في الأحوال كلِّها، ويُقيض الله له من الأسباب التي يحصل له فيها رفع الدرجات، ومغفرة الذنوب، وتكثير الحسنات، سواء كان ذلك مما يُجريه عليه من الأمور السارة التي تستوجب الشكر، أو الأمور الضارة التي تستوجب الصبر. فإذا عرف المؤمن هذه الحقيقة كان متقلبًا بين الشكر والصبر، وربما أفضىٰ به الأمر في مثل هذه الأمور المكروهة إلىٰ أن ينتقل من الصبر إلىٰ الرضا، فيكون راضيًا بما قدَّر الله تعالىٰ له، وهذه منزلة عالية من منازل الإيمان.

فمن أراد الحياة الحقيقية فلا بد له أن يبدأ بالإيمان تعلمًا وعملًا وتعليمًا، فهو الطريق إلىٰ الله ولا طريق إليه سواه، وهو الأصل الذي تبنىٰ عليه رؤية الإنسان لنفسه وخلقه ووجوده ووجود العالم من حوله.

مدخل معرفي

قبل البداية في دراسة أركان الإيمان، يحسن بنا أنْ نبدأ بمقدمة مختصرة عن مصادر المعرفة والعلاقة بينها في عدة مسائل، وذلك لأنَّ كل بناء معرفي يعتمد علىٰ مصادر محددة في تكوين المعرفة، والتي ينطلق منها في الإجابة عن أسئلة الوجود الكبرىٰ وغيرها. فمن المصادر تُبنىٰ المعارف.

ويمكن الحديث عن مصادر المعرفة، والعلاقة فيما بينها في أربع مسائل، وهي:

مصادر المعرفة، ومعرفة الدين الصحيح، والعلاقة بين العقل والدين، والعلاقة بين العلم والدين.

المسألة الأولى؛ مصادر المعرفة:

إنَّ لكل إنسان رؤية كونية ينظر بها إلىٰ نفسه ومَن حوله والعالم أجمع، تحوي هذه الرؤية نظامًا معرفيًّا يختص بها، وتصديقات إيمانية تقوم عليها، وبها يستطيع الإنسان أنْ يكوِّن الحقائق ويستمد المعلومات، ومن ثم يبني عليها مسيرته المعرفية في هذه الحياة. ومن أهم قواعد هذه النظم المعرفية: مصادر المعرفة، وقد تسمىٰ وسائل المعرفة أو أصول المعرفة.

ومصادر المعرفة هي الأوعية التي يكتسب منها الإنسان معرفته، ويبني عليها كيان رؤيته وقيمه ونظرته لنفسه وللأشياء من حوله فهمًا وتفسيرًا.

ومن أهم ما يجب معرفته في هذه المسألة:

١. **أنَّ مصادر المعرفة متعددة،** فمنها ما نقل إلينا بالخبر كالوحي وغيره، ومنها ما نعرفه بالعقل مثل: أنْ نعقل أنَّ الكل أكبر من الجزء، ومنها ما نشاهده

أو نشمه أو نسمعه أو نتذوقه بالحواس، ومنها ما ندركه بالحدس، ومنها إلهام يقذف هكذا في القلب دون مقدمات معينة، ومنها ما نتعرف إلىٰ حقيقته بالتجربة، ومنها الإجماع الإنساني، وهو اتفاق البشر التلقائي الفطري علىٰ بعض القضايا، علىٰ الرغم من اختلاف الظروف، والعادات، والمعتقدات بين المجتمعات، وفي هذا إشارة إلىٰ وجود طبيعة إنسانية عامة، وهكذا.

٢. **وجوب استخدام كل مصدر في مجاله**، ومَن غيَّب مصدرًا من هذه المصادر أو تجاهله؛ سيكون عاجزًا عن الوصول إلىٰ الحقيقة في بعض الأمور، ومن أراد الحقيقة فعليه بالتوازن وذلك باستخدام كل مصدر في مجاله.

٣. أنَّ العلاقة بين تلك المصادر علاقة تكاملية، وهذا يتمثل في أمور، **أولها: أنَّ هذه المصادر يصدق بعضها بعضًا ويستحيل التعارض بينها، لأنَّها كلها من عند الله سبحانه وتعالىٰ فأصلها واحد، وثانيها: أنَّ كل مصدر يعمل في مجاله مكملًا لبقية المصادر.**

ولا يلزم استخدام كل هذه المصادر معًا في وقت واحد لتحصيل معرفة محددة، فلو استخدمنا مصدرًا واحدًا في مجاله الصحيح فإنه يكفي في تحصيل المعرفة.

٤. تعتمد آلية تحديد المصدر علىٰ المجال المعرفي، إذ عندنا عالَمان؛ عالَم الغيب، وعالَم الشهادة، أما عالم الغيب فلا يوجد إلا مصدر واحد للتعرف إلىٰ تفاصيله وهو الوحي، وإنْ كان العقل قد يتعرف إلىٰ بعض قضاياه الكبرىٰ إجمالًا، وأما عالم الشهادة، فهناك عدة مصادر للتعرف إليه، منها: الخبر والعقل والحس. وهذه المصادر كلها تتكامل ولا تتعارض.

ويجب أنْ نُوقن أنَّ الحقائق القطعيَّة يستحيل أن تتعارض سواء كان مصدرها الخبر أو العقل أو هما معًا، وأنَّ القطعي يقدَّم دائمًا علىٰ الظني مهما كان مصدره.

وهذه التكامل بين المصادر لا يعني أنَّها متساوية في القوة أو الدرجة، فهي تتفاوت فيما بينها في تحصيل اليقين، فالعلم الصحيح المتلقىٰ من الوحي هو الحق المطلق الذي يجب اتباعه، لأنَّه علم مباشر من علم الله تعالىٰ الذي لا يعتريه نقص ولا يشوبه قصور، فهو المصدر المعصوم والميزان الذي توزن به المفاهيم.

٥. **أنَّ المعرفة في الإسلام ليست ذات طابع واحد،** فمنها المعرفة الغيبية، والمعرفة الحسية، والمعرفة العقلية، وغيرها. وهذه المعارف المتعاضدة التي تُستمد من عالم الشهادة بالحس والعقل، ومن عالم الغيب بالخبر (الوحي)، هي معارف تقدم رؤية كونية متكاملة، ونظرًا صحيحًا، وتجربة ثرية، ورأيًا سديدًا، وهذا التكامل يولد استقرارًا ضروريًّا للبناء المعرفي الإيماني.

٦. **أنَّ من طبيعة المعرفة في الإسلام أنها تقدم الأجوبة العملية وتورث الاستقرار المعرفي، فغايتها التعرف إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، واقتضاء العلم العمل، لا إثارة الإشكالات المستعصية علىٰ الحل.**

٧. أنَّ معرفتنا بمصادر المعرفة تقودنا إلىٰ فهم التوجهات الفكرية والمدارس الفلسفية التي تُبنىٰ عليها، وهذا بدوره يجعلنا نفهم طبيعة الصراع بين المذاهب الفكرية وأسباب النزاع بين نظيرات المعرفة المختلفة، إذ لكل مذهب فكري مصادر تَحْكم معارفه وتنظمها، وتتميز الرؤية المعرفية في الإسلام عن بقية المذاهب والمدارس الفلسفية بالتكامل والاتساق والشمول والاتساع الذي يعترف بالمصادر المعرفية الصحيحة كلها، بخلاف المذاهب الأخرىٰ التي ضيقت واختزلت المصادر وحصرت طريقها في طريق واحد، أو جعلت هذا الطريق هو الحاكم علىٰ بقية الطرق.

المسألة الثانية: معرفة الدين الصحيح:

بعد أنْ تعرفنا إلىٰ مصادر المعرفة، وذكرنا أنَّ منها العقل، حريٌّ بنا هنا أن نوظفه في التمييز بين الأديان لمعرفة الدين الصحيح. إذ تدلنا مبادئ العقل الصحيحة علىٰ أنَّ هذا الكون البديع المخلوق يدلُّ علىٰ وجودِ خالقٍ عليمٍ قدير خلقه وقدَّر مقاديره، ومن تمام الحكمة والعدل الإلهي: إرسال الرسل. فالخالقُ يُعَلِّم المخلوقات الغاية من خلقهم، وهذا التعليم يكون عن طريق الرسالات التي تدلُّهم علىٰ طريق الهداية وكيفية تحقيق الغاية. وإذا علمنا أن الحقَّ واحد لا يتعدد، وأن معظم الأديان تدَّعي أنها علىٰ حقٍّ، وأنَّ النبوة قد ختمت، فلا وجود لأنبياء معاصرين يدلون الناس علىٰ الحقِّ، فكيف يمكننا إذًا معرفة الدين الصحيح منْ بين كلِّ هذه الأديان؟

- **إذا حاولنا أن نضع بعض المعايير التي نميز بها الدين الذي يصح أنْ يكون خاتمًا للأديان الصحيحة من بين سائر الأديان الباطلة التي نراها اليوم، فلا بد أن يكون في رأس تلك المعايير ما يلي:**

١. أنْ يكون الدين وحيًا سماويًّا من الخالق وليس من صناعة البشر. (ديانة سماوية)

٢. أنْ يدعو إلىٰ إفراد الخالق وحده بالعبادة ويعرِّف الخلق به. (فطرة التوحيد)

٣. ألا يكون متناقضًا ولا مختلفًا، وإنما يشهد بعضه لبعض. (الاتساق الداخلي)

٤. أنْ يتضمن ما يحفظ علىٰ الناس الضرورات الخمس، ويضمن مبدأ العدالة، وأن يكون شاملًا يغطي مجالات الحياة المختلفة. (الشمولية)

٥. أنْ يكون للناس كافة ورحمة للعالمين، وليس مختصًّا بقوم أو فئة. (العالمية)

٦. أنْ يتضمن إجابة مقنعة عن أسئلة الإنسان الكبرىٰ: من نحن؟ ومن أين أتينا؟ وماذا يجب علينا؟ وإلىٰ أين نذهب؟ (معنىٰ الحياة)

٧. أنْ يأمر بمكارم الأخلاق وينهىٰ عن مساوئها. (الرقي الأخلاقي)

٨. ألا يتعارض مع المعارف القطعية الأخرىٰ. (الاتساق الخارجي)

٩. أنْ يكون صالحًا للتطبيق في كل زمان ومكان. (الصلاحية الواقعية)

١٠. أنْ يكون قادرًا علىٰ إثبات أصالته والحفاظ عليها. (الحفظ والسلامة من التحريف)

ولو تأملنا الأديان لوجدناها تنقسم قسمين:

- **أديان تدعو لعبادة الله خالق الكون.**

- **وأديان وضعية تدعو لعبادة المخلوقات؛ كالأصنام والحيوانات والبشر.**

والعقل السليم يحكم ببطلان عبادة ما صنعناه نحنُ بأيدينا من التماثيل، أو ما رأيناه عاجزًا مخلوقًا كالحيوانات والبشر، وبناء علىٰ ذلك سنستبعد كل الديانات الأرضية الوضعية، ويبقىٰ عندنا الشرائع التي تدَّعي أنَّها منزَّلة من عند الله تعالىٰ، وهي: اليهودية، والنصرانية، والإسلام.

أما اليهودية والنصرانية فقد طال التحريف مصادرهما، وهذه الحقيقة ثابتة بالدليل عند المحققين من الباحثين في علم الأديان. والأمر الآخر -وهو الأهم- أنَّ اليهودية والنصرانية قد فقدتا جوهر رسالتيهما وهو التوحيد الخالص، **وعليه بقي لدينا الإسلام، فهو ناسخ للشرائع قبله، مع أنه أوجب الإيمان بها جملة، ويمتاز الإسلام كذلك بأمور أخرىٰ، منها:**

١. أنَّ الإسلام رسالة عالمية لكل الناس، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال ﷺ: «**وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ**

إلىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلىٰ النَّاسِ كَافَّةً» (رواه البخاري:٤٣٨).

٢. أنَّ سنة رسول الإسلام ﷺ محفوظة، فقد حَفَظَتْ لنا دواوين السنة والسيرة كل أفعاله وأقواله، وليس أقواله فقط بل حتىٰ سكتاته ﷺ.

٣. أنَّ نصوص الإسلام محفوظة كلها بأدق تفاصيلها، وهذا أمرٌ لافتٌ للنظر يصعب أن يكون بقدرة البشر لمدة ١٤٠٠ عام دون تقدير من الخالق العظيم. قال تعالىٰ: ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت:٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ﴾ [الحجر:٩].

٤. أنَّ تصور الإسلام عن الخالق تصور متسق واضح يقبله العقل السليم دون أي تعقيد أو اضطراب.

٥. أنَّ القرآن ليس فيه تناقضات وأخطاء إن سلكنا في فهمه السبيل الصحيح، ولو كان من كلام البشر لوجدنا فيه تناقضات كثيرة. قال تعالىٰ: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء:٨٢].

٦. أنَّ الإسلام يفسِّر لنا فلسفة الكون والأحداث بطريقة مقتصدة، ومقبولة للعقل، وسهلة وواضحة.

٧. أنَّ أحكام الشريعة الإسلامية سمحة ميسرة عن بقية الشرائع قبله، وعند رؤية الشريعة كاملةً تتضح معالم الجمال والكمال فيها، قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج:٧٨]، وقال ﷺ: «**إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**» (رواه البخاري:٣٩).

٨. أنَّ الإسلام ختم الله به عقد الأديان، فكل دين سماوي سبقه قد بَشَّر به، ويمتنع أن يأتي دين بعده أو أفضل منه، فهو خاتم الأديان وأكملها،

فلا وجود لدين حق سوىٰ دين الإسلام. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:٨١-٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

والخلاصة: أن الدين الصحيح الصالح لكل زمان ومكان، هو ما كان وحيًا محفوظًا من عند الله تعالىٰ. وإذا نَظَرنا في الإسلام وجدنا أنَّه قد حاز سمات الدين الصحيح، فتعاليمه شاملةٌ لمطالب الدين والدنيا، ويمنح تصورًا صحيحًا عن قيمة الحياة، وليس فيه ما يناقض العلم الطبيعي الصحيح، بل يدعو إلىٰ العلم الصحيح بأنواعه. وهو أيضًا رسالة عالمية لا يختص بها قوم دون قوم أو زمان دون زمان، ويملك كتابًا محفوظًا من التبديل والتحريف ومنقولًا إلينا بطريقة متواترة ناسخة لكل دين سماوي قبله. قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام:١١٥].

المسألة الثالثة: العلاقة بين العقل والدين:

قد يرد تساؤل عند بعضهم: ماذا لو تعارض الدين مع العقل؟!

هذا السؤال قد يُوحي بأن العقل قسيم للدين، وأن العقل لا تسليم فيه، وأن الدين لا عقل فيه، وهذا غير صحيح، فالعقل من الدين، وهو أداة من أدوات فهم الدين، به تثبت جملة من أحكام الشريعة، وهو مناط التكليف، والمحافظة عليه ضرورة من الضرورات الخمس التي جاء بحفظها الدين. ولكننا قد نجد من يُعَظِّم مصدرية العقل في المعرفة، ويجعله المصدر الوحيد -وهذا متعذر فحتىٰ

المعرفة العقلية في تسلسلها لا بد أن تنتهي إلىٰ معرفة مبنية علىٰ التسليم-، وهذا المنهج كما تقدم معنا خطأ في البناء المعرفي الذي لا يتم بنيانه إلا علىٰ أعمدة التكامل والتوازن والاتساع بين المصادر. وهنا لا بد من التنبيه علىٰ أمور يجب أن يستحضرها من يدعو للاعتماد علىٰ العقل وحده، وهي:

الأمر الأول: معرفة أنَّ العقل محدود الإدراك لا يدرك كل شيء؛ فالعقل مهما بلغ من القوة والذكاء فهو أداة مخلوقة تربطنا بالعالم من حولنا، وكل ما هو مخلوق فهو بالضرورة محدود. فالعين مثلًا لها مدىٰ ينتهي عنده مقدرتها علىٰ الإبصار فلا تدرك ما وراءه، والسمع له مدىٰ ينتهي عنده فلا يسمع ما بعده، وكذلك الشأن في العقل أداة الإدراك، فإنَّ له مجاله المحدود الذي يعمل فيه، ويعجز عن إدراك كثير من الأمور التي تغيب عنه.

إنَّ المجالات التي لا يصح أنْ يعمل فيها العقل وحده فقط -مثل الإلهيات والغيبيات والأحكام التعبدية والأخبار الشرعية- هي الحدود التي يجب أن يتوقف عندها، ويُسَلِّم الراية للمصدر المعرفي الذي قرر العقل صوابيته قبل ذلك، وآمن بصحة خبره وهو الوحي. إذ ما أنزل الله الوحي إلا لأنَّ الإنسان لا يستطيع الوصول إلىٰ تفاصيل الهدايات التي جاء بها الوحي بعقله فقط، ولا يعني هذا بوجه من الوجوه أن هذه المعارف تضاد العقل، بل هو مستطيع أن يدرك كليات قضاياها، لكن تفاصيلها تفوق قدرات العقل المحدودة؛ فلا بد لنا من مصدر معرفي آخر يعين العقل علىٰ الوصول للمعرفة في هذه الأبواب.

الأمر الثاني: معرفة أنَّ إدراك العقل للقضايا الكلية يكونُ إدراكًا مجملًا؛ فالعقل يدرك مثلًا حُسن العدل وقبح الظلم، لكنه يعجز عن تقويم كل فعلٍ: هل هو عدل أو ظلم؟ حسن أو قبيح؟ وهذا يفسر التفاوت الكبير الذي يعرض للناس في تقويم كثير من المسائل، متىٰ كان المرجع هو العقل وحده. إنَّ العقل بحاجة إلىٰ مصدر

معرفي آخر يسنده، فإذا أدرك العقل إدراكًا مجملًا أنَّ في الحياة الآخرة جزاءً؛ يأتي الوحي ببعض تفاصيله، وإذا خفيتْ عليه أحجام أو أبعاد بعض الأشياء؛ يأتي الحس ببعض تفاصيله، وقد يتوهم العقل شيئًا؛ فتأتي التجربة معارضة له بالدليل.

فالمصادر المعرفية الأخرىٰ في الحقيقة تسند العقل وتعطيه حقه ومكانته، بل ومشروعيته. وكثيرًا ما يوصَف أمر ما بأنَّه عقلي؛ مع أنَّ الحس قد شارك في تقديره وتقريره، ولكنه نُسب للعقل حُكْمًا.

الأمر الثالث: معرفة أنَّ الناس يتفاوتون في الإدراك العقلي؛ فالعقل وإنْ كان مشتركًا في أصله بين العقلاء، فإنهم يتفاوتون فيما بينهم في الإدراك، فما يعلمه إنسان بعقله قد يجهله إنسان آخر، بل الإنسان نفسه قد يعلم بعقله شيئًا في وقت ثم يجهله في وقت آخر. وكما يتفاوت الناس في عقولهم، فإن العقل نفسه يتفاوت في مراتبه أيضًا، وفي مجالات النظر.

وبسبب المبالغة في تقديس العقل وتضخيم قدراته، وجعله مرجعًا مركزيًّا للمعرفة من جهة، والغفلة عن حقيقة محدودية العقل وقصوره وتفاوته في الإدراك من جهة أخرىٰ؛ يتورط بعض الناس فيستند إلىٰ ما يتوهمه عقلًا لينفي به حقائق شرعية، ولهذا فالتعامل مع الأحكام الشرعية بمقولة: «هذا كلام لا يقبله العقل» تعامل فيه قصور ظاهر، وجهل بمفهوم العقل ذاته، ومكانته بين مصادر المعرفة الأخرىٰ.

وعليه فالمنهج الشرعي الصحيح يقوم علىٰ إدراك أنَّ العقل الصريح لا يمكن أنْ يعارض النقل الصحيح، فما ثبت في الشريعة قطعًا لا يمكن أنْ يخالف العقل قطعًا، وما يحدث من توهم مخالفة فهو إما بسبب خطأ في فهم العقل، وإما بسبب خطأ في فهم الشريعة.

وينبغي التفريق بين أمرين يشتبهان عند كثير من الناس، ووقوع الاشتباه بينهما هو ما يدفع بعض الناس إلىٰ تصور وقوع المعارضة بين نصوص الوحي والعقل،

فيجب أن نفرق بين ما **يحتار العقل فيه، وبين ما يراه العقل مستحيلًا، وكذلك بين المستحيلات العادية والمستحيلات العقلية.**

إنَّ بعض القضايا قد يحتار العقل في تصورها، ولكنَّه لا يملك دليلًا يوجب ردها ورفضها، فيقف حائرًا مترددًا، وهذا التوقف والتردد لا يبيح له رد الخبر كما هو ظاهر، إذ الخبر مُثْبت والعقل متوقف، والواجب تقديم المُثْبِت علىٰ المتوقف، وما يحتار العقل فيه، فلا يعني هذا أنَّه من قبيل المستحيل.

أمَّا المستحيل العادي، فهو ما يقع مخالفًا لما جعله الله تعالىٰ في الطبيعة من سنن وقوانين، وأمَّا المستحيل العقلي، فهو من الأمور الممتنعة لذاتها، ويحكم العقل بعدم إمكان وقوعها مطلقًا. فإذا أخبرت الشريعة بأمر، فيمتنع أنْ يأتي هذا الأمرُ بما تراه العقول مستحيلًا، ولكن قد يأتي بما يكون من قبيل المستحيلات العادية. فمثلًا: أن يكون الإنسانُ حيًّا وميِّتًا في الوقت نفسه؛ فهذا من المستحيلات العقلية التي يمنع العقل وقوعها، أمَّا أنْ يذهب الإنسان إلىٰ أقصىٰ الأرض ثم يعود في وقت قصير، كما حدث للنبي ﷺ في قصة الإسراء والمعراج، فهذا من المستحيلات العادية التي لا يمنع العقل وقوعها.

المسألة الرابعة: العلاقة بين العلم التجريبي والدين:

يُشَكِّل الدين والعلوم التجريبية مظهرين من أهم المظاهر في الحياة من حولنا، ومع تقدم العلوم التجريبية -وهي العلوم التي تسعىٰ لاكتشاف القوانين الطبيعية عن طريق التجربة والملاحظة واعتماد الدليل المادي فقط- **ظهرت بعض الآراء التي تقول بوجود نظرتين للعالم؛ الأولىٰ: نظرة الدين للعالم، والأخرىٰ: نظرة العلم التجريبي للعالم، ثم بُني علىٰ هذا التنظير أنَّ الدين والعلم شيئان مختلفان، ثم قرر كل فريق نظرته للعلاقة بينهما بحسب رؤيته لكل منهما، وإذ إنَّ النظرة للعلم التجريبي تُعد سمة بارزة في عصرنا، فقد توهم البعض أنَّ المصدر الوحيد للمعرفة**

هو العلم التجريبي وأغفل بقية المصادر، وقد تقدم معنا أنَّ البناء المعرفي لا يكتمل إلا بالتوازن بين مصادر المعرفة، دون إغفال أو تهميش أي منها علىٰ حساب الآخر.

ويمكن حصر الأقوال في مسألة العلاقة بين العلم والدين فيما يأتي:

الأول: التمايز بين العلم والدين، بحيث يختص كل واحد منهما بأمور لا تدخل في مجال اختصاص الآخر، فكل منهما مستقل عن الآخر في مستويات مختلفة.

الثاني: التناقض بين العلم والدين، بحيث يقع التعارض بينهما، فهما متعارضان.

الثالث: التكامل بين العلم والدين، بحيث يكون العلم مكملًا للدين، فهما متفقان وإنْ توهم بعضهم التعارض.

والثالث هو الصحيح، لثلاثة أمور:

١. لا يمكن أن يتمايز العلم التجريبي عن الدين الحق، لأن من خصائص الدين الحق أن تشمل تعاليمه مطالب الدين والدنيا، فهو الحاكم علىٰ الجميع، والعلم التجريبي من مطالب الدنيا.

٢. لا يمكن أن يتناقض العلم التجريبي مع الدين الحق، لأن الدين الحق وحيٌ من عند الله تعالىٰ، والعلم التجريبي نظرٌ في الكون الذي خلقه الله، ويستحيل أن يتناقض كلام الله تعالىٰ مع خلقه؛ فكلاهما من عند الله.

٣. لا يعني التكامل بين العلم والدين هنا أنَّ العلم التجريبي مستمد مباشرة من الدين، بل المقصود أنَّ العلم محكوم بالدين لا يناقضه ولا يخرج عنه، بل الدين يحث عليه.

ماذا نصنع عندما نجد تعارضًا بين العلم التجريبي والدين؟

لا بد من التنبيه على أربعة أمور هنا:

١. **الأمر الأول:** لا بد من تحرير مفهوم الدين والعلم الذي وقع توهم المعارضة بينهما، فالمقصود بالدين هو الوحي كتابًا وسنة، وأما العلم فالمقصود به المجال المادي القائم على المنهج التجريبي المعتمد على التجربة الحسية، وهدفه التعرف إلى الطبيعة وقوانينها.

٢. **الأمر الثاني:** أنَّ كُلًّا من الدين والعلم التجريبي يتضمن مسائل جزئية ليست على درجة واحدة من القطع والقوة، بل هي متفاوتة في ذلك، فمن الدين ما هو قطعي في ثبوته أو دلالته، ومنه ما هو دون ذلك، ومنه الظني الذي يمكن أن يقع الاختلاف في ثبوته أو دلالته. فالنص القطعي الدلالة: هو ما دلَّ على معنى متعيّن يُفهم من النص، ولا يحتمل معنى آخر، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ [النساء:١٢]، فهذا قطعي الدلالة على أن فرض الزوج في هذه الحالة النصف لا غير، وأما النص الظني الدلالة: فهو ما دلَّ على معنى، ولكن يحتمل أن يُصرف عن هذا المعنى ويراد منه معنى غيره، مثل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨]، فلفظ القرء في اللغة مشترك بين معنيين، إذ يطلق على الطهر، ويطلق على الحيض، وعليه فالنص يحتمل أن يكون المقصود به ثلاثة أطهار، ويحتمل أن يكون ثلاث حيضات، فهو ليس قطعي الدلالة على معنى واحد من المعنيين، ولهذا اختلف العلماء في معناه. ومثل هذا التفاوت واقع في العلم التجريبي وأشد، فهناك الآراء، والفرضيات، والنظريات، والنماذج التفسيرية، والحقائق العلمية، بل حتى الحقائق العلمية نجد لها تفسيرات

مختلفة، والقطع في العلم التجريبي إنما يصح فيما كان قائمًا علىٰ المعطىٰ الحسي القطعي الذي يصح أن يوصف بكونه حقيقة علمية قاطعة –والقطع هنا مستمد من الحس–، وأما سعي الإنسان في تقديم نماذج تفسيرية لما يراه من ظواهر فهي دون ذلك في الرتبة، والعلم التجريبي يصحح نفسه في هذه المجالات باستمرار.

٣. **الأمر الثالث:** ينبغي أن نفرق بين العلم الطبيعي التجريبي وفلسفة العلم التجريبي، فالعلم التجريبي يكشف القوانين الطبيعية، في حين تمثل فلسفة العلم المواقف والآراء الشخصية التي تُبنىٰ علىٰ هذه النظريات والمكتشفات، ومِنْ ثَمَّ تُبَنىٰ الرؤىٰ والتصورات، وهي تعتمد كثيرًا علىٰ الذاتية لا الموضوعية.

٤. **الأمر الرابع:** أنَّ طبيعة العلم التجريبي ظنية مبنية علىٰ الخبر، واستنتاجات البشر التي تتغير حسب المعطيات والتجارب والظروف، فهي مهما بلغت ستظل في حيز الظن الغالب، وتاريخ العلم يثبت بجلاء أنه متغير ومتطور، وحقيقته مقاربات احتمالية لا حتمية فيها ولا ثبات.

بعد ذلك، نأتي للسؤال المحوري: **هل يمكن أن يقع التعارض بين الوحي والعلم التجريبي أم لا؟**

والجواب:

- أما التعارض بين قطعيات الدين وقطعيات العلم التجريبي فلا يمكن أن يقع، لأنَّ النقل وحي من الله تعالىٰ الذي خلق الكون بما فيه، وهو العليم سبحانه بتفاصيل أحوال العالم وسننه والخالق لها، فلا يمكن أن يأتي الوحي بما يخالف شيئًا من قطعيات العلم المستمدة من قوانين العالم، وذلك لكمال علم الله تعالىٰ وحكمته.

- أما إنْ وجد ما يوهم التعارض بينهما، فَمَرَدُّ ذلك لخللٍ في تصور طبيعة الدين أو طبيعة العلم، وهو ما يستدعي تدقيقًا للنظر فيهما والتعرف إلىٰ ما كان أقوىٰ فيكون مقدمًا، فالنقل قد لا يكون صحيحًا من جهة الثبوت، أو لا يكون محكمًا من جهة الدلالة، فإذا كانت المعرفة العلمية قطعية هنا كانت مقدمةً علىٰ هذا النقل ولا إشكال، والعكس بالعكس، فإذا كان النقل قطعي الثبوت والدلالة فلا بد أنَّ الإشكال فيما يُدَّعىٰ أنه حقيقة علمية، أما إن كانت دلالة كل منهما ظنية فإنَّه يتطلب حينها ما يرجح كفة أحدهما علىٰ الآخر.

غير أنَّ منشأ الإشكال هنا عادة يبدأ من النزعة المغالية في العلم التجريبي التي تحصر المعرفة في إطارها، وقد تقدم معنا أنَّ مصادر المعرفة متعددة، وحصرها في مصدر تجريبي فقط قد يفضي بها إلىٰ إنكار المعقولات الضرورية التي مبناها علىٰ العقل، والأخبار اليقينية المبني بعضها علىٰ النقل، وإنكارها يُسبب انهيار المنظومات العلمية، لأن الاعتماد علىٰ المصدر التجريبي فقط قد يلغي بقية المصادر الأخرىٰ، والتي لا يمكن لأي منظومة معرفية بل وحتىٰ علمية أن تقوم إلا علىٰ تكاملها. والخلاصة التي ينبغي أنْ نعيها: أنَّ **معارضة الوحي بالعلوم التجريبية إنما ينشأ من سوء فهم للوحي، أو سوء فهم للعلم، وعلينا معرفة المنهجية الشرعية الصحيحة في العلاقة بينهما، وأنها متىٰ طبقت علىٰ نحو سليم، انزاحت كلُّ الإشكالات المتعلقة بهذا الباب.**

مراجع للاستزادة:

١. الإيمان أولًا، فكيف نبدأ به، د. مجدي الهلالي.

٢. مدخل إلىٰ نظرية المعرفة، أحمد الكرساوي.

٣. مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، د. عبد الرحمن الزنيدي.

٤. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح الكردي.

٥. الإسلام والعلم، د. هشام عزمي.

٦. حوار مع صديقي الملحد، مصطفىٰ محمود.

٧. العقل مجالاته وآثاره في ضوء الإسلام، د. عبد الرحمن الزنيدي.

٨. منهج السلف بين العقل والتقليد، د. محمد السيد الجليند.

٩. الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي.

١٠. زخرف القول، د. فهد العجلان وعبد الله العجيري.

١١. كامل الصورة، أحمد السيد.

١٢. الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، عبد الرحمن السعدي.

١٣. الشريعة الإسلامية ومحاسنها، وضرورة البشر إليها، عبد العزيز بن باز.

١٤. منهج أهل السنة والجماعة في إثبات أصول الدين، محمد المصري.

١٥. التسليم للنص الشرعي، د. فهد العجلان.

١٦. نبذة في العقيدة الإسلامية، محمد العثيمين.

١٧. الإسلام هو دين الله ليس له دين سواه، عبد العزيز بن باز.

١٨. الدرة المختصرة في محاسن الإسلام، عبد الرحمن السعدي.

١٩. ينبوع الغواية الفكرية، عبد الله العجيري.

٢٠. النظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري.

٢١. استعادة النص الأصلي للإنجيل، د. سامي عامري.

مدخل منهجي

بعد أن عرفنا مصادر المعرفة، وعرفنا مكانة الوحي وعلاقته مع العقل والعلم في هذه المنظومة المعرفية، وعرفنا كيف نميز الدين الصحيح، يحسن بنا أن نتعرف إلىٰ ثلاث مسائل مهمة، وهي:

مصادر التلقي، وحجية السنة، وقواعد الاستدلال.

المسألة الأولى: مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة:

١. **القرآن الكريم**؛ وهو كلام الله تعالىٰ المنزل علىٰ محمد ﷺ، والمتعبَّد بتلاوته.

٢. **صحيح السنة النبوية**؛ وهي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو عمل، أو تقرير، أو صفة خُلُقية أو خَلْقية، أو سيرة، وثبتت صحة نسبتها للرسول ﷺ.

٣. **الإجماع**؛ وهو اتفاق المجتهدين المعتبرين من أهل العلم بعد وفاة النبي ﷺ علىٰ حكم شرعي، وأدلة حجيته قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء:١١٥]، فتوعد الله من خالف سبيل المؤمنين بأن مصيره إلىٰ جهنم. وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**» (رواه الترمذي:٢١٦٧)، والمراد إجماع العلماء.

ومدلول الثلاثة واحد، فإنَّ كل ما في القرآن الكريم فصحيح السنة موافق له، والأمة مجمعة عليه من حيث الجملة، وكذلك كل ما سنَّه الرسول ﷺ، فالقرآن يأمر باتباعه، والمؤمنون مجمعون علىٰ ذلك، وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون، فإنَّه لا يكون إلا حقًّا موافقًا لما في الكتاب والسنة.

المسألة الثانية: حجيَّة السنة:

- تأتي مرتبة السنة النبوية في الأهميَّة بعد مرتبة القرآن الكريم، ولا يمكن للدين أنْ يكتمل، ولا للشريعة أنْ تتم إلا بأخذ السنة مع القرآن، وقد جاءت الآيات المتكاثرة آمرة بطاعة الرسول ﷺ، والاحتجاج بسنته والعمل بها، إضافة إلىٰ ما ورد من إجماع الأمة، وأقوال الأئمة في إثبات حجيتها ووجوب الأخذ بها.

أولًا- الآيات التي تدل علىٰ حجية السنة:

لقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات الدالّة علىٰ حجيَّة السنة، وهيٰ علىٰ أنواع؛ فمنها:

١. **آيات تبين الهدف من بعثة النبي ﷺ:**

- قال تعالىٰ: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران:١٦٤].

- وقال تعالىٰ: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل:٤٤].

- وقال تعالىٰ: ﴿**وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل:٦٤].

- وقال تعالىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦].

٢. **آيات تأمر بطاعة النبي ﷺ:**

- قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران:٣١].

- وقال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢].
- وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢].
- وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].
- وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ﴾ [النساء:٦٤].
- وقال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [النساء:٨٠].
- وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [المائدة:٩٢].
- وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢٠].
- وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال:٢٤].
- وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦].
- وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة:٧١].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

- وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

- وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

٣. آيات تحذِّر من عصيان النبي ﷺ:

- قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

٤. آيات تأمر بالتأدب مع النبي ﷺ:

- قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة:٩].

- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢].

٥. آيات تبيِّن فضل مَنِ اتَّبع النبي ﷺ:

- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢].

- وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١].

- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩].
- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الفتح:١٧].

نستدلُّ بما سبق علىٰ أنَّ القرآن الكريم دلَّ علىٰ حجيَّة السنة بأكثر من وجه:

- الأول: أنَّ الله ﷻ قرن طاعته بطاعة رسوله ﷺ.
- الثاني: أنَّ الله ﷻ حذر من مخالفة رسوله ﷺ.
- الثالث: أنَّ الله ﷻ جعل طاعة رسوله ﷺ من لوازم الإيمان، وأمر بالاستجابة له ﷺ.
- الرابع: أنَّ الله ﷻ أمر عند الاختلاف بالرجوع إليه ﷻ وإلىٰ الرسول ﷺ.
- الخامس: لو كان في الاحتجاج بالسنة مخالفة للقرآن أو انحراف عنه، لوجب أنْ نجد في القرآن ما يوضح هذا الأمر المهم توضيحًا صريحًا حتىٰ يعرف الناس دينهم، لكننا لم نجد شيئًا من ذلك في القرآن، بل وجدنا الأمر باتباع النبي ﷺ، وبيان فضل ذلك.

ثانيًا- إجماع الصحابة والتابعين ومَن بعدهم علىٰ اتباع السنة والاحتجاج بها:

لقد ضرَب الصحابة رضوان الله عليهم أروع المثل في حُسن اتباع ما جاء به النبي ﷺ، فقد عملوا بالسنة في حياته وبعد وفاته ﷺ، وكذلك سار التابعون وتابعوهم علىٰ نهجِ النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ونقل الناس الدين عنهم في ذلك، ونقلته الأمة وأجمعوا عليه، وما كانوا ليجمعوا علىٰ ذلك

لولا ظهور الدلائل البيِّنة عليه، والتي لو كانوا مخطئين فيها لكان هذا من التلبيس في الدين، وهذا محال، لأن الإجماع حجة ولا حجة بباطل.

ثالثًا- دلالة العقل علىٰ حجية السنة:

بما أنَّ النبي ﷺ رسول من عند الله تعالىٰ، فإنَّ هذا يقتضي تصديقه في كل ما يُخبر به، وطاعته في كل ما يأمر به، لأنَّ العقل لا يقبل أنْ يقال له: إنَّ الله قد أرسل رسولًا إليك، ولكن لا تأخذ بقول هذا الرسول، ولا تتبع أوامره، بل مقتضىٰ العقل يقول: إنَّ الرسول الأمين مُبَلِّغٌ عن ربه، فكل ما يقوله ويفعله علىٰ جهة التشريع والتدين منسوب إلىٰ ربه، فإذا أقره الله سبحانه وتعالىٰ عليه فذلك دليل رضاه. قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧]. إنَّ تأييد الله سبحانه وتعالىٰ لأنبيائه بالمعجزات إثبات لصدقهم، وتمكين لهم من إقامة الحجة علىٰ العباد ليَتَّبِعُوهم ويأخذوا منهم دينهم.

رابعًا- تعذر العمل بالقرآن وحده:

مما يدل علىٰ حجيَّة السنة أنه لا يمكن الاستقلال بفهم الشريعة وتفاصيلها وأحكامها من القرآن وحده، لاشتماله علىٰ بعض النصوص المجملة التي تحتاج إلىٰ بيان، وترك هذه المهمة للبشر دون النبي ﷺ سيفضي إلىٰ العجز عن فهم المراد ثم العجز عن العمل به. ولا سبيل إلىٰ فهم أحكام القرآن حق الفهم إلا عن طريق السنة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]، فكيف سنعرف مثلًا: صفة الصلاة، وبيان ما يجتنب في الصوم، وبيان كيفية الزكاة، وبيان أعمال الحج، وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، والصدقات وسائر أنواع الفقه؟

علىٰ أنَّ الأحكام المستمدة من السنة مأخوذة في الحقيقة من القرآن، ومستقاة من أصوله، وذلك لأنَّ الله تعالىٰ أحال عليها في كتابه، فالأخذ بها في الواقع أخذ بالقرآن، ولهذا لما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ والمُوتَشِمَاتِ، والمُتَنَمِّصَاتِ والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ**» **فَبَلَغَ ذلكَ امْرَأَةً مِن بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقالَتْ: إنَّه بَلَغَنِي عَنْكَ أنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وكَيْتَ، فَقالَ: وما لي لا أَلْعَنُ مَن لَعَنَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ، ومَن هو في كِتَابِ اللَّهِ، فَقالَتْ: لقَدْ قَرَأْتُ ما بيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَما وجَدْتُ فيه ما تَقُولُ، قالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقَدْ وجَدْتِيهِ، أما قَرَأْتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾؟ قالَتْ: بَلَىٰ، قالَ: فإنَّه قدْ نَهَىٰ عنْه، قالَتْ: فإنِّي أرَىٰ أهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِن حَاجَتِهَا شيئًا، فَقالَ: لو كَانَتْ كَذلكَ ما جَامَعْتُهَا.** (رواه البخاري:٤٨٨٦).

فتبيَّن مما سبق وجوب الاحتجاج بالسنة والعمل بها، وأنَّها كالقرآن في وجوب الطاعة والاتباع، وأنَّ المستغني عنها إنما هو مستغنٍ في الحقيقة عن القرآن، وأنَّ طاعة الرسول ﷺ طاعة لله، وعصيانه عصيان لله تعالىٰ، وأنَّ العصمة من الانحراف والضلال إنَّما هي بالتمسك بالقرآن والسنة جميعًا.

وقبل أن ننهي كلامنا في هذه المسألة فيحسن بنا أن نذكر طرفًا من الأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ عظم مكانة السنة، والمحذرة من ردها بغير برهان أو مخالفتها؛ فمن ذلك: قول النبي ﷺ: «يوشِكُ الرَّجلُ متَّكئًا علَىٰ أريكتِهِ يُحدِّثُ بحديثٍ من حديثي فيقولُ: بينَنا وبينَكُم كتابُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ما وجَدنا فيهِ من حلالٍ استحلَلناهُ وما وجدنا فيهِ من حرامٍ حرَّمناهُ. ألا وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلُ ما حرَّمَ اللَّهُ» (رواه ابن ماجه:١٢)، وقال ﷺ: «**مَن أطاعَنِي فقَدْ أطاعَ اللَّهَ، ومَن عَصانِي فقَدْ عَصَىٰ اللَّهَ**» (رواه البخاري:٧١٣٧)، وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ، وإيَّاكُم**

ومُحْدَثَاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ» (رواه أبو داود:٤٦٠٧)، وقال ﷺ: «**نضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ مِنَّا حديثًا فحفِظَهُ حتىٰ يُبَلِّغَه غيرَهُ، فرُبَّ حامِلِ فقْهٍ إلىٰ من هو أفقَهُ منه**» (رواه الترمذي:٢٦٥٦)، وقال ﷺ: «**فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عن شيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ**» (رواه البخاري:٧٢٨٨).

- **تمييز الحديث الصحيح من غير الصحيح:**

فإذا تقرر كما ذكرنا حجيَّة السنة، ووجوب العمل بها، فكيف نستطيع التأكد من صحة الأحاديث النبوية، مع أن دواوين السنة النبوية لم تكتب إلا بعد وفاة النبي ﷺ بمدة؟!

ويمكن مناقشة هذا التساؤل بالحديث عن طبيعة نقل سنته ﷺ من زمانه وحتىٰ ظهور كتب السنة المعتمدة عند الأمة، إذ حُفِظَتْ السنة في صدور الرجال، وفي سطور الكتب، وقد تنوعت طرائق العلماء في التَّثَبُّت من سنته ﷺ، ووضعوا قواعد علوم الحديث وعلم الرجال -هذا العلم الذي يختص به الإسلام دون بقية الأديان- ونشير هنا لعدة أمور تعين علىٰ فهم المسألة فهمًا حسنًا:

الأول- السنة في زمنه ﷺ:

تتجلىٰ مظاهر العناية بالسنة النبوية في زمانه ﷺ في أمور متعددة، منها: طبيعة كلامه ﷺ من جهة انتقاء ألفاظه، وطريقة أدائه، ومنها: تشجيعه ﷺ ودعوته لنقل أحاديثه (رواه البخاري:٣٤٦١)، ودعاؤه ﷺ لمن فعل ذلك بنضرة الوجه (رواه الترمذي:٢٦٥٧)، ومنها: إظهاره ﷺ الحفاوة بمن كان معتنيًا بحديثه من صحابته (رواه البخاري:٥٦٧٠)، ومنها: دعاء النبي ﷺ لبعض صحابته بالحفظ المتقن (رواه البخاري:٢٠٤٧)، ومنها: تحذير النبي ﷺ من الكذب عليه (رواه البخاري:١٢٩١)، ومنها: ارتباط سنته ﷺ بشأن التشريع، إذ في حفظها حفظ الدين. وقد كُتبت جملة كبيرة من السنة في زمن الرسول ﷺ.

الثاني- السنة في زمن الصحابة رضي الله عنهم:

تتجلىٰ مظاهر العناية بسنة النبي ﷺ زمن الصحابة في أمور، منها: معرفة ما كان عليه الصحابة من شديد المحبة للنبي ﷺ، ومنها: شدة حرصهم علىٰ الخير، ومنها: استعمال الصحابة لحديث النبي ﷺ في دعوتهم وتقريراتهم، ومنها: سعي الصحابة لتحصيل ما فاتهم من حديث النبي ﷺ، وتناوبهم في الجلوس عنده ﷺ طلبًا لحديثه، ومنها: ضبط الصحابة الدقيق لما أخذوه عن النبي ﷺ، ومنها: الحرص علىٰ ضبط حديثه ﷺ كتابة، **فمشروع كتابة السنة قد بدأ منهم**، فمِمَّن كتب من الصحابة: أبو أمامة الباهلي، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو بكر الصديق، وأبو رافع، وأبو سعيد الخدري، وأبو موسىٰ الأشعري، وأبو هريرة، وأسماء بنت عميس، وأسيد بن حضير، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وجرير بن عبد الله، ورافع بن خديج، وسعد بن عبادة، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن عمرو، وسمرة بن جندب، وشداد بن أوس، وعائشة بنت أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم كثير، رضوان الله عليهم أجمعين.

الثالث- السنة في زمن التابعين:

حرص التابعون علىٰ ملازمة الصحابة وجمع أحاديثهم وكتابتها، وعلىٰ توثيق السنة كتابة، ففي القرن الأول نجد أكثر من مئةٍ من التابعين كَتَبُوا الحديث، أو كُتِبَ عنهم، ومنهم مثلًا: النخعي، وأبو سلمة، وأبو قلابة، وذكوان، وأبو العالية، وسعيد بن جبير، وشهر بن حوشب، والضحاك، وطاووس، وعبيدة السلماني، وعروة بن الزبير، وعكرمة، وأيوب السختياني، وثابت البناني، والحسن البصري، ورجاء بن حيوة، والزبير بن عدي، والأعمش، وشعبة بن دينار، والأعرج، وأبو الزناد، وعطاء

بن أبي رباح، وقتادة، والزهري، ونافع مولىٰ ابن عمر، وهشام بن عروة، ووهب بن منبه، وعبيد الله بن عمر، وغيرهم كثير، رضي الله عنهم وأرضاهم. ومن أهم ما يكشف عن عناية التابعين بضبط سنة النبي ﷺ؛ ظهور العناية الكبيرة بشأن الإسناد ومعرفة أحوال الرواة.

الرابع- حفظ السنة في زمن أتباع التابعين:

تميَّزت هذه الحقبة بكتابة المصنفات في جمع السنة، فصار الاهتمام بالتصنيف، فنجد الكثير من الأئمة قد صنَّفوا قبل البخاري ومسلم رحمهم الله تعالىٰ جميعًا، ومن هؤلاء: ابن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، وشعبة، وابن طهمان، والفراهيدي، ومالك، ومعمر، والأوزاعي، والثوري، وابن لهيعة، وابن المبارك، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، والطيالسي، والشافعي، وابن عيينة، ووكيع، وأحمد بن حنبل، والليث، وعبد الرزاق، والحميدي، وعلي بن الجعد، وابن أبي شيبة، وغيرهم كثير.

الخامس- زمن اتساع دائرة التصنيف:

تعد هذه المرحلة الممتدة من القرن الثاني وحتىٰ القرن الثالث الهجري أوسع في جمع السنة النبوية، فقد اجتمع فيها أئمةٌ كبار: كيحيىٰ القطَّان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، وعلي بن المديني، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وأبي حاتم الرازي، وأبي زرعة الرازي، وغيرهم كثير.

وهذه الكتب لم تظهر فجأة كما قد يتوهمه بعض الناس، بل وقعت أحاديثها لأصحابها متصلة الإسناد بمن فوقهم حتىٰ تصل إلىٰ النبي ﷺ، في جهد علمي تراكمي، يعتمد فيه المُتَأَخِّرُ جُهْدَ المتقدم ويبني عليه، **في سلسلة علمية لم تنقطع**، بل إنَّ كثيرًا من الأحاديث الموجودة في هذه الكتب هي في الحقيقة انتخابٌ من كُتُبٍ كتبها من فوقهم، إذ وقعت هذه الكتب لهم متصلة الإسناد مشافهةً، فسمعوا أحاديثها

حديثًا حديثًا ممن حَدَّثَهم بهذا الكتاب، والذي بدوره سمعها ممن فوقه، فوقعت لهم هذه الكتب سماعًا وكتابةً بعد أن قاموا بتدقيقها وحفظها ودراستها وعرضها.

وفي جانب تدوين السنة نَمَتْ علومٌ أخرىٰ تسعىٰ إلىٰ ضبطه وإحكامه، فازدهر التأليف في **تواريخ الرجال، ورواة الحديث، وكتب الجرح والتعديل**، إذ حُصرت جميع أسماء من قاموا بنقل السنة، ثم تكلموا عنهم وعن حياتهم بالتفصيل الذي يمكنهم من الحكم بتوثيق الراوي أو تجريحه، وتكذيب روايته أو تصديقها، فنجد كتبًا تكلمت عن **الصحابة والطبقات**، وأخرىٰ خاصة برجال بعض البلدان، وثالثة عن **الثقات**، ورابعة عن **الضعفاء**، وخامسة عن **رجال كتاب من كتب الحديث** خاصة، وسادسة عن **رجال علم الحديث عامة**، وازدهرت كذلك كتب **علوم مصطلح الحديث**، والعشرات من كتب **العلل** -علم العلل من أكثر العلوم دقة ونفاسة- وكتب **السؤالات** -كتب تجمع الأجوبة التي يحصلها السائل من شيخه في علم الحديث-، إضافةً إلىٰ كتب **غريب الحديث** -وهي كتب توضح الألفاظ الغريبة والمعاني البعيدة-، وكتب **شروح الحديث**، وكتب **التخريج** -وهي كتب تهتم بمصادر الحديث الأصليَّة وعزوه إليها-، **والمستخرجات** -وهي كتب يعمد فيها المؤلف إلىٰ كتاب من كتب الحديث، فيخرج أحاديثه بأسانيد أخرىٰ غير أسانيد صاحب الكتاب-، **والمستدركات** -وهي كتب تجمع الأحاديث التي تكون علىٰ شرط أحد المصنفين في علم الحديث ولكنه لم يخرجها في كتابه-، **والزوائد** -وهي الكتب التي جمعت الأحاديث التي زادها صاحب كتاب أو أكثر علىٰ كتاب غيره- وغير ذلك.

والخلاصة أنَّ تاريخ الرواية حظي بعناية فائقة، وجهود عظيمة لضمان حفظ سنته ﷺ، والتي بلغت الغاية (بل إنها آية) في التثبُّت والتحوُّط.

المسألة الثالثة: قواعد الاستدلال:

إنَّ الاستدلال بهذه المصادر التي ذكرناها له قواعد تحكمه، وهي التي يسير عليها أهل العلم في استدلالهم ومنهجياتهم العلمية، وقواعد الاستدلال تتمثل فيما يأتي:

١. يعتمد أهل السنة في تلقي أصول الإيمان علىٰ الكتاب والسنة والإجماع.

٢. يَقبلون كلَّ ما صحَّ عن الرسول ﷺ ويحتجون به، ويُسَلِّمون بكلِّ ما جاء عن الله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

٣. يؤمنون بجميع نصوص الكتاب والسنة الثابتة، ويجمعون النصوص في الباب الواحد، ويردون المتشابه إلىٰ المحكم، والمجمل إلىٰ المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٤. يعتقدون بأنَّ الرسول ﷺ بلَّغ الدين كله أصوله وفروعه، وأنَّ الله تعالىٰ قد أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وأنه لا يوجد نسخ في الأخبار المحضة ولا في أصول الإيمان، أما الأخبار؛ فلأنَّ الله تعالىٰ إذا أخبر عن شيء فإنما يخبر بعلمه، وعلمه لا يسبقه جهل، ولا يعتريه وهم، وأما أصول الإيمان؛ فلأن الشريعة مبنية علىٰ حفظ هذه الأصول.

٥. يعتمدون علىٰ تفسير القرآن بالقرآن، وعلىٰ تفسيره بالسنة، ويعتمدون معاني لغة العرب، لأنها لغة القرآن والسنة. ويحتجون بتفسيرات الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم، لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تَنَزُّل الوحي وهم أعلم الأمة باللغة ومقاصد الشرع.

٦. يُعَبِّرون عن حقائق الإيمان بالألفاظ الشرعية، ولا يستبدلون بها ألفاظًا مجملة أو موهمة، ويرون أنَّ ظواهر النصوص مفهومة لدىٰ المخاطبين ومطابقة لمراد الشارع، لأنهم يؤمنون أنَّ معانيها محفوظة وأنَّه يمكن نقل هذه المعاني من جيل إلىٰ جيل، وأنَّ الخطأ في فهم ظواهر النصوص قد يقع من قصور في معرفة الظاهر لا من الظاهر نفسه.

٧. يؤمنون بأنَّه يستحيل التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، بل يصدق أحدهما الآخر ويشهد أحدهما بصحة الآخر.

٨. يرجعون عند التنازع إلىٰ الله تعالىٰ ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء:٥٩].

٩. ينفون التعارض بين نصوص الكتاب والسنة، فلا يمكن أن تتعارض نصوص الشرع الثابتة، لأنَّها من عند الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:٨٢].

١٠. يتفقون علىٰ أصول مسائل الاعتقاد مع اختلاف أعصارهم، وتباعد أمصارهم.

إنَّ علوم الشريعة قرآنًا وسنة وما تفرع عنها تخصص علمي، له قواعده ومناهجه في الفهم والعلم، ومن لم يمارس علوم الشريعة تعلمًا وفهمًا؛ فلا يصح له أن يخوض فيها بغير علم.

- **فهم القرون المفضلة:**

ذكرنا في قواعد الاستدلال أنَّ أهل السنة يعتمدون علىٰ القرون المفضلة في فهم النصوص، والمقصود بالقرون المفضلة: هم أئمة القرون الثلاثة التي زكاها الرسول ﷺ، حيث قال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (رواه البخاري:٣٦٥١)، ومما يدلُّ علىٰ حجيَّة فهم القرون المفضلة ما يأتي:

- **أولًا**: بالبداهة والضرورة أنك متىٰ طلبت أفضل الفهوم وأعلاها لنصٍّ من النصوص، لجأت إلىٰ من يتكلم لغةَ هذا النص، كما تلجأ إلىٰ من عايش مُبَلِّغَ النص وتلقَّاه عنه مباشرة، وطبّقه أمامه وتربىٰ بين يديه في فهمه.

- **ثانيًا**: وردت مجموعة من النصوص التي تزكيهم وتترضىٰ عنهم، ومن ذلك:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء:١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا**﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة:١٣٧].

وقال ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّمَاءَ ما تُوعَدُ، وَأَنَا**

أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَىٰ أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ» (رواه مسلم:٢٥٣١).

وقال ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فلوْ أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ**» (رواه البخاري:٣٦٧٣).

وقال ﷺ: «**من يعِشْ منكم فسيرَىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإياكم ومحدَثاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**» (رواه الترمذي:٢٦٧٦).

وقال ﷺ: «**يَأْتي علَىٰ النَّاسِ زَمانٌ، يُبْعَثُ منهمُ البَعْثُ فيَقولونَ: انْظُرُوا هلْ تَجِدُونَ فِيكُمْ أحَدًا مِن أصْحابِ النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ فيُوجَدُ الرَّجُلُ، فيُفْتَحُ لهمْ به، ثُمَّ يُبْعَثُ البَعْثُ الثَّانِي فيَقولونَ: هلْ فيهم مَن رَأَىٰ أصْحابَ النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ فيُفْتَحُ لهمْ به، ثُمَّ يُبْعَثُ البَعْثُ الثَّالِثُ فيُقالُ: انْظُرُوا هلْ تَرَوْنَ فيهم مَن رَأَىٰ من رَأَىٰ أصْحابَ النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ ثُمَّ يَكونُ البَعْثُ الرَّابِعُ فيُقالُ: انْظُرُوا هلْ تَرَوْنَ فيهم أحَدًا رَأَىٰ مَن رَأَىٰ أحَدًا رَأَىٰ أصْحابَ النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ فيُوجَدُ الرَّجُلُ فيُفْتَحُ لهمْ بهِ**» (رواه مسلم:٢٥٣٢)، وكل هذه النصوص وغيرها تزكيهم وتزكي فهمهم وعملهم وتطبيقهم للإسلام.

- **ثالثًا**: أجمع أهل السُّنَّة علىٰ أنَّ خير القرون هم الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وهذه الخيرية خيرية إيمان وعلم وفهم وعمل. وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبـواب الخير، إذ لو كانوا خيرًا من بعض الوجوه فقط، فلا يكونون خير القرون مطلقًا، ولو جاز أنْ يخطئ الرَّجل منهم في حُكم من الأحكام، ولم يذكر بَقيَّتهم الصَّواب، وإنَّما ظفر بالصَّواب من جاء بعدهم؛ للزم أن يكون ذلك القرن الذي حاز الصواب خيرًا منهم من هذا الوجه، وهذا غير صحيح.

مراجع للاستزادة:

١. منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة، عثمان علي حسن.

٢. تثبيت حجية السنة، أحمد السيد.

٣. دفاع عن السنة، د. محمد أبو شهبة.

٤. حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق.

٥. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، محمد الأعظمي.

٦. عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد العثيمين.

٧. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان ضميرية.

٨. مقدمات في الاعتقاد، د. ناصر القفاري.

٩. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة، د. إبراهيم البريكان.

١٠. مقدمة في عقيدة السلف، د. عيسىٰ السعدي.

١١. عقيدة أهل السنة والجماعة، د. محمد إبراهيم الحمد.

١٢. أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرىٰ، محمد المصري.

مفهوم الإيمان

تمهيد؛ وفيه أربع مسائل:

بعد أنْ عرفنا مصادر المعرفة والعلاقة بينها، وعرفنا مكانة الوحي وحاكميَّته علىٰ سائر المصادر، وذكرنا مصادر التلقي التي يستمد منها المؤمن إيمانه، فإنَّ أول ما يجب علىٰ كل مسلم معرفته: أصول الإيمان، فهي أساس كل علم، وعليها يُبنىٰ كل فهم، فهذه الأصول أساس كل شيء يأتي من بعدها. فإن من أيسر الطرق وأصحها لتعلم هذه الأصول دراسة أركان الإيمان، وقد عَظَّم الله تعالىٰ ذكر الإيمان كثيرًا في القرآن. وفي هذا دلالة علىٰ عظمته ووجوب العناية به، تعلُّمًا وتعلِيمًا وفهمًا وعملاً وتجديدًا. وسوف نتحدث في هذا التمهيد عن أربع مسائل، وهي:

المسألة الأولى؛ مفهوم أركان الإيمان:

الركن هو الجزء من الشيء الذي لا يقوم الشيء إلا به، فإذا زال الركن زال الشيء بكامله.

وأما الإيمان فهو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وأركان الإيمان هي: **الإيمان بالله تعالىٰ وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.**

قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر:٤٩]، وفي

حديث جبريل المشهور لما سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان، قال ﷺ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» (رواه مسلم:٨).

المسألة الثانية: الصلة بين أركان الإيمان:

حينما يُقِرُّ المؤمن بوجود خالقٍ لهذا الكون، وأنَّ هذا الخالق له كمال القدرة والعلم والحكمة، فمن لوازم ذلك أنْ يكون لهذا الخالق غاية، ولا طريق للوصول إلىٰ الاطلاع علىٰ هذه الغاية إلا عن طريق رسالة تصل إلىٰ الخلق تخبرهم بها. ويقوم بإيصال هذه الرسالة رسل يختارهم الله، رسل من السماء، ورسل من أهل الأرض، يُبَيِّنون للناس ما فيها من الحق، ويُعَلِّمُونَهم أمور دينهم وما فيه صلاح دنياهم، في بيان واضح لما يجب عليهم في الدنيا، وماذا ينتظرهم في الآخرة.

المسألة الثالثة: مراتب الإيمان:

مراتب الإيمان عند أهل السنة والجماعة كالآتي:

المرتبة الأولىٰ: أصل الإيمان، ويسمَّىٰ أيضًا مطلق الإيمان، أو الإيمان المجمل. وبزوال هذه المرتبة يزول الإيمان، لأنها حد الإسلام، والفاصل بين الكفر والإيمان، وهذا النوع واجب علىٰ كل من دخل دائرة الإسلام، وبه يعلم ثبوت الأحكام الشرعية.

المرتبة الثانية: الإيمان الواجب، وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة أصل الإيمان. ويكون صاحبها ممن يؤدِّي الواجبات ويتجنَّب الكبائر، ويلتزم تفصيلات الشريعة الواجبة، تصديقًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا حسب استطاعته.

المرتبة الثالثة: الإيمان المستحب، وهذه المرتبة بعد مرتبة الإيمان الواجب، وهي مرتبة الإحسان، وصاحبها لا يكتفي بعمل الواجبات، وترك المنكرات؛ بل

يضيف إلىٰ ذلك فعل المستحبَّات، واجتناب المكروهات والمتشابهات، بقدر ما يسَّر الله تعالىٰ له ذلك.

ويتفاوت أصحاب هذه المراتب بقدر تفاوتهم بالعلم والنية والعمل والاتباع.

المسألة الرابعة: حقيقة الإيمان عند أهل السنة:

من القضايا المهمة في مسألة الإيمان تأكيد أمرين:

١. **أنَّ حقيقة الإيمان مركبة من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة،** فالإيمان مركب من قول القلب واللسان، ومن عمل القلب واللسان والجوارح. قال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة:٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم، وقال ﷺ: «**الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أو بضْعٌ وستُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ**» (رواه مسلم:٣٥)، وقال ﷺ: «**هل تدرونَ ما الإيمانُ باللهِ وحدَه؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ قال: شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، ولأنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصومُ رمضانَ، وتُعطُوا الخُمُسَ مِن المَغنَمِ**» (رواه البخاري:٨٧).

٢. أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، وقال تعالىٰ:

﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال ﷺ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ**» (رواه البخاري:٢٤٧٥)، وقال ﷺ: «**مَن رَأَىٰ مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أَضْعَفُ الإيمانِ**» (رواه مسلم:٤٩).

أركان الإيمان

الركن الأول

الإيمان بالله تعالى

دلت الفطرة السليمة والعقل الصحيح والشرع علىٰ وجود الله تعالىٰ، فكل مخلوق قد فُطِر علىٰ الإيمان بخالقه، ويدله تفكيره السليم علىٰ وجود إله مدبر للكون.

والإيمان بالله تعالىٰ يتضمَّن الإيمان بوجوده سبحانه، وأنَّه الخالق المدبر لهذا الكون الرازق لمن فيه، وأنَّه المعبود الحق لا شريك له في ملكه وحكمه، وأنَّه كامل في كل شيء له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ. وهذا الإيمان الذي يجب علىٰ كل مؤمن أنْ يؤمن به، ويجب أنْ يؤمن أيضًا بكل ما بلغه من تفاصيل هذا الركن الواردة في القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وهذا الركن الأول للإيمان يُعد الأصل الأول من أصول الإيمان، وعليه مدار الإسلام وهو لبُّ القرآن العظيم، والإيمان بالله تعالىٰ بالنسبة لبقية الأركان كأصل الشجرة بالنسبة للفروع، فكلما كان حظ المرء من الإيمان بالله تعالىٰ عظيمًا؛ كان حظه في الإسلام كبيرًا. ولا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بالإيمان بالله ربًّا مستحقًّا للعبادة وحدَه سبحانه وتعالىٰ.

الإيمان بالله: هو الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالىٰ، والإيمان بربوبيته، وأنَّه الربُّ المعطي الخالق الرازق المدبر، والإيمان بألوهيته، وتوحيده وأنَّه المستحق للعبادة لا شريك له، والإيمان بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، المحققة للكمال والجمال وتنزيهه عن النقائص وكل ما ينافي كماله سبحانه.

الإيمان بوجود الله تعالى:

الأدلة علىٰ وجود الله تعالىٰ: إنَّ أدلة وجود الله تعالىٰ تنقسم إلىٰ أنواع: أدلة فطرية، وأدلة عقلية، وأدلة نقلية.

١. **الأدلة الفطرية:**

إنَّ دلالة الفطرة علىٰ وجود الله تعالىٰ أقوىٰ من أي دليل آخر. لأنَّ ضرورة الاحتياج راسخة في النفس ولا تحتاج إلىٰ استدلال، وهو أصل لكل الأدلة الأخرىٰ. وأصل دلالة الفطرة هي أنَّ الإنسان لو تُرِكَ وذاته، دون مربٍّ، فإنَّه يشعر في أعماق نفسه، بأنَّ لهذا الكون خالقًا خلقه، هذا الشعور يولد معه، ويهتدي إليه بفطرته، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠]، فكل إنسان يشعر من نفسه بأنَّ له خالقًا، ويحس بعظيم الحاجة إليه، فيتجه بقلبه إلىٰ السماء بعفوية، ليطلب العون والاستجابة عند اكتراب المحن.

والقول بفطرية الإيمان بوجود الخالق أمر ضروري، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بوجود الخالق إذا سلمت من المعارض. **ومما يدل علىٰ صحة دليل الفطرة ما يأتي:**

أولًا: أنَّ بني آدم أجمعين لهم شعور يشتركون فيه، هو اللجوء إلىٰ الخالق سبحانه عند الشدائد. فالإنسان ولو كان مشركًا يفزع عند المصيبة إلىٰ ربه سبحانه، ويشعر في قرارة قلبه بافتقاره إلىٰ ربه، وإنْ أظهر غير ذلك. قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. وقد قرر القرآن الكريم هذا المعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:١٢]. فرجوع الإنسان إلىٰ ربه سبحانه عند الشدة، برهان جلي علىٰ أنَّ فطرته مُقرَّة بوجود الله تعالىٰ، وإنْ أظهر حال الرخاء عكس ذلك.

ثانيًا: قال تعالىٰ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨]، وقال ﷺ: «**ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَىٰ الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُشَرِّكَانِهِ**» (رواه مسلم:٢٦٥٨)، وقال ﷺ فيما يرويه عن الله سبحانه وتعالىٰ: «**وإنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ**» (رواه مسلم:٢٨٦٥)، والمراد أنَّ فطرته مقتضية للإيمان بخالق والإقرار به ومحبته، ومقتضيات هذه الفطرة وموجباتها تحصل شيئًا بعد شيء، وذلك بحسب سلامة فطرته وانتفاء موانعها، فيلتقي حينئذٍ نور الفطرة مع نور الوحي.

ثالثًا: مما يدل علىٰ فطرية التدين: ملازمته لتاريخ البشرية. فلم يخلُ عصر من العصور، أو أمة من الأمم، من دين أو معبود، سواء أكان حقًّا أو باطلًا. وهذا يدل علىٰ أنَّ التدين وقبله الإقرار بوجود خالق للكون مدبرٍ له: أمرٌ مركوز في الفطرة، متجذرٌ في النفوس، يشترك الناس فيه، علىٰ اختلاف أحوالهم وعلومهم وبيئاتهم.

رابعًا: مما يدل علىٰ استقرار المعرفة الفطرية بوجود الله تعالىٰ في نفوس البشر: أن الإنسان لا ينفك عن العجز الذاتي، الذي ينمِّي فيه الشعور بالافتقار إلىٰ إلهٍ قادر مدبِّر، يلتجئ إليه في حاجاته، ويجبر نقصه بالتوجه إليه. ولما كان العجز لازمًا للإنسان، كان هذا الشعور الناشئ عنه: لازمًا له أيضًا. وهذه حقيقة ارتكاز معرفة وجود الله تعالىٰ في الفطرة الإنسانية.

٢. **الأدلة العقلية:**

إنَّ العالم من حولنا حدثت فيه بعض الحوادث، فمن الذي أوجدها وقام عليها؟ إما أنْ تكون هذه الحوادث وُجدت هكذا صدفة من غير سبب يدعو لذلك، فحينها لا أحد يعلم مَنْ أوجدها. وهناك احتمال آخر: وهو أنْ تكون هذه الحوادث أوجدتْ نفسَها بنفسِها. وهناك احتمال ثالث: وهو أنَّ لهذه الحوادث خالقًا قد خلقها.

وعند النظر في هذه الاحتمالات الثلاثة نجد الأول منها متعذر؛ فوجود هذا النظام البديع، والتناسق بين الأسباب ومسبباتها، يمنعُ منعًا باتًّا أنْ يكون وجودها صدفة، وكذلك الاحتمال الثاني مستحيل؛ إذ كيف يُوجِدُ الشيءُ ذاتَه بنفسِه، وعليه فإن الاحتمال الثالث هو الصحيح. وهذا ما ذكره القرآن الكريم، قال الله تعالىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٥-٣٦].

إنَّ دليل الخلق والإبداع والتفكر فيه من أعظم الأدلة علىٰ الخالق، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٦]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

والتناسق والنظام والتدبير الموجود في الكون، وقانون السببية الذي تنتظم به قوانين الخلق، ودليل العناية بالمخلوقات والتسخير، كل هذه تعد من أقوىٰ الدلائل العقلية علىٰ وجود الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ:٦-٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان:٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس:٢٤].

ومعرفة هذه الأدلة من الأمور الضرورية التي يعرفها كل أحد مهما كان جاهلًا بالحجاج وطرائق الاستدلال وقواعد التفكير.

ومن الأدلة التي يدل فيها الأثر علىٰ المؤثر: **هداية المخلوقات إلىٰ ما فيه سر حياتها، وكذلك بعض ما يجريه الله علىٰ أيدي أنبيائه من خوارق الآيات**

والمعجزات والبراهين الحسية التي تثبت وجوده وتأييده ونصرته لهم. ومن أظهرها استجابة الله تعالىٰ للدعاء، فإن الانسان يدعو الله عز وجل، ثم يستجاب له، وكذلك نحن نسمع أخبارًا متواترة أن الله تعالىٰ استجاب لأناس دعواتهم، وهذا أمر واقع يدل علىٰ وجود الخالق دلالة حسية عقلية، وفي القرآن كثير من هذا، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤]. وكل مؤمن يجد أثر هذا الدليل في حياته، بل حتىٰ الكفار يستجاب لهم حال إخلاصهم في دعوة المضطر والمظلوم.

٣. **الأدلة النقلية:**

حث القرآن علىٰ التفكر وتأمل الآيات في الكون، التي تدل علىٰ وجود الله، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢]، فهذه وما شابهها أدلة نقلية عقلية.

ومن الأدلة النقلية العقلية كذلك، أنَّ ما جاء به التشريع من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق في تكاملها وجمالها وإحكامها؛ دليل علىٰ أنَّها لا تصدر إلا من خالق حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها؛ دليل علىٰ أنَّها من ربٍّ قادر علىٰ إيجاد ما أخبر به، **فالقرآن نفسه بكلِّ ما فيه من أحكام وأوامر ونواهٍ وقصص وأخبار وإشارات وإعجاز؛ دليل علىٰ وجود الله تعالىٰ، فهو يحمل دليل صدقه فيه.**

وإنْ أردنا اختصار المعاني السابقة في عبارة جامعة، فيمكن أنْ نقول: إنَّ الإيمان بوجود الله تعالىٰ ليس حاجة فطرية ووجدانية ونفسية وأخلاقية فحسب، بل وحاجة معرفية أيضًا، لأن الإيمان بوجود الله تعالىٰ هو الضمانة المعرفية التي يحتاج إليها الإنسان لتفسير الحياة. وأي معرفة للكون وقوانينه لا تنضبط انضباطًا صحيحًا، ولا تستقيم مسالك الاستدلال فيها؛ إلا عن طريق معرفة صانع هذا الكون، والإيمان بوجوده ومعرفة غايته من الخلق، وأي تفسير معرفي للخلق والحياة من دون الإيمان بوجود الخالق؛ فهو تفسير غير صحيح، فالمخلوقات كلها تدل عليه وهي قد أتت منه. قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤].

الإيمان بربوبيته سبحانه:

- وهو الإيمان الجازم بأنَّ الله تعالىٰ وحده رب كل شيء ومليكه، لا شريك له، وهو الخالق وحده وهو مدبر العالم والمتصرف فيه، وأنَّه خالق العباد ورازقهم ومحييهم ومميتهم، **فهم مفتقرون بأصل خلقهم إلىٰ خالقهم**، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. **فالخلق بذاته دليل علىٰ افتقار المخلوق لمن خلقه وحاجته إليه، فالافتقار وصف لازم للمخلوق في أصل وجوده واستمرار هذا الوجود، كما أنَّ الغنىٰ وصف لازم للخالق سبحانه وتعالىٰ، وخلاصة الإيمان بالربوبية هو: توحيد الله تعالىٰ بأفعاله.**
- قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

- وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦].

- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود:٦].

- وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

- وقال تعالىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

- وقال تعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١].

- وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٤٢].

وهذا التوحيد مستقرٌّ في فِطَر عامة البشر، فهم مُقِرُّون لله تعالىٰ به، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣١-٣٢]. ولم يجحد هذا التوحيد إلا مكابر معاند، قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤].

الإيمان بألوهيته سبحانه:

وهو الإيمان بأنَّ الله تعالىٰ هو الإله الحق المتفرد باستحقاق العبادات كلها الظاهرة والباطنة وحده لا شريك له، والبراءة من كلِّ معبود دونه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]

فهو الإله المعبود بحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويجب طاعته تعالىٰ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. **وخلاصة الإيمان بالألوهية هو: توحيد الله تعالىٰ بأفعال العباد،** وهذه الأفعال مبنيَّة علىٰ المحبَّة التي تأتي بالرغبة، والتعظيم الذي يأتي بالرهبة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]، فالعبادة تجمع غاية الحب لله تعالىٰ مع غاية الذل له سبحانه.

- قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].
- وقال تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]
- وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. فما من رسول إلا قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].
- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].
- وقال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].
- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

- وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

- وحذر من الشرك فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

- وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

- وعن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النبيِّ ﷺ علَىٰ حِمارٍ يُقالُ له عُفَيْرٌ، فقالَ: «**يا مُعاذُ، هلْ تَدْري حَقَّ اللَّهِ علَىٰ عِبادِهِ، وما حَقُّ العِبادِ علَىٰ اللَّهِ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ اللَّهِ علَىٰ العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَىٰ اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا**» (رواه البخاري:٦٢٦٧، ومسلم:٣٠)

وهذه العبادة لا تقبل إلا بشرطين؛ الأول: الإخلاص لله تعالىٰ، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال ﷺ: «**إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِامْرِئٍ ما نَوَىٰ، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلىٰ اللَّهِ ورَسولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إلىٰ اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلىٰ ما هَاجَرَ إلَيْهِ**» (رواه البخاري:٦٦٨٩).

أما الشرط الثاني فهو: المتابعة للرسول ﷺ، فلا يُعبَد الله إلَّا بما شرَع، قال ﷺ: «**مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ**» (رواه البخاري:٢٦٩٧).

ويجب أنْ نعلم أنَّ العبد لا يكون مُوَحِّدًا التوحيدَ الذي يُنجي صاحبَه في الدنيا والآخرة بمجرَّد إيمانه أنَّ الله هو ربُّ كلِّ شيءٍ وخالقه؛ فإنَّ هذا التوحيد كان يُقِرُّ به المشركون الذين أُمِرَ الرسول ﷺ بقتالهم، بل لا بدَّ مع توحيد الربوبية من توحيد الألوهيَّة، الذي هو الغاية العُظمىٰ من بعْثة الرُّسل، والذي من أجْله خلَق الله الخلْق، وجعَل الجنة والنار. إن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرُّسل، وأصل الخلاف

بينهم وبين أقوامهم. قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

إنَّ لا إله إلا الله: جمعت الإيمان وأساسه. وبقية أركان الإيمان والإسلام متفرعة عنها، مقيدة بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها. ومعناها: لا معبود يستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

- هي العُروة الوثقىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].
- وهي العهد، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم:٨٧].
- وهي الحُسنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل:٥-٧].
- وهي كلمة الحق، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].
- وهي كلمة التقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَا﴾ [الفتح:٢٦].
- وهي الكلمة الطيِّبة، قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤].
- وهي القول الثابت، قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].
- وهي الحسَنة، قال تعالىٰ: ﴿جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ [النمل:٨٩].

- وهي المثَل الأعلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:٢٧].

- وهي سبب شفاعة الرسول ﷺ، «**قِيلَ يا رَسولَ اللَّهِ مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: لقَدْ ظَنَنْتُ يا أبَا هُرَيْرَةَ أنْ لا يَسْأَلُنِي عن هذا الحَديثِ أحَدٌ أوَّلُ مِنْكَ لِما رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ علَىٰ الحَديثِ، أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أو نَفْسِهِ**» (رواه البخاري:٩٩).

- وهي سبب دخول الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَنِّي رَسولُ اللهِ، لا يَلْقَىٰ اللَّهَ بهِما عَبْدٌ غيرَ شاكٍّ فِيهِما، إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**» (رواه مسلم:٢٧).

- وهي سبب النجاة من النار، قال رسول الله ﷺ: «**فإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَىٰ النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللَّهِ**» (رواه البخاري:٥٤٠١).

- وهي خير ما قيل، قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الدُّعاءِ دعاءُ يوم عرفةَ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّونَ من قبلي: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وَهوَ علىٰ كلِّ شَيءٍ قديرٌ**» (رواه الترمذي:٣٥٨٥).

- وهي أفضل شُعَب الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «**الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أو بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ**» (رواه مسلم:٣٥).

- وهي سببٌ لعصمة الأموال والدماء، قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّىٰ يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَهُ، إلَّا بحَقِّهِ وحِسَابُهُ علَىٰ اللَّهِ**» (رواه البخاري:٢٩٤٦).

وقد استنبط العلماء -من مجموع النصوص- أنَّ العبد لكي ينتفع بهذه الكلمة «لا إله إلا الله» فلا بد أنْ يقولها بعلمٍ منافٍ للجهل، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وبيقينٍ منافٍ للشك، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ [الحجرات: ١٥]، وبقبولٍ منافٍ للرد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات:٣٥]، وبانقيادٍ منافٍ للترك، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، وبصدقٍ منافٍ للتكذيب، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٨]، وبإخلاصٍ منافٍ للشرك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥]، وبمحبةٍ منافية للبغض، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وهذه الشروط يتفاوَت الناس فيها زيادةً ونقصًا، لأنها من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكلما ازداد الإنسان تعلُّمًا لدينه، زاد تحقيقه لمعنىٰ: «**لا إله إلا الله**»، فيجب علينا أنْ نتعلَّمها ونعمل بها ونُعَلِّمَها، فالنجاة مرتبطة بها، والفلاح في الدنيا والآخرة معلَّقٌ بها وعليها.

ونظرًا لأنَّ هذا النوع من التوحيد والإيمان هو أعظم أنواع التوحيد؛ فقد احتاط له الشارع الكريم، ومنع كل وسيلة وذريعة تمس جناب التوحيد، إذ نهىٰ عن كل الألفاظ التي توهم المساواة مع الله كقولك: «**ما شاء الله وشئت**» (رواه أحمد:٣/ ٢٥٣)، **ونهىٰ عن الحلف بغير الله** (رواه البخاري:٦٦٤٦)، **ونهىٰ عن شد الرحال تعبُّدًا إلا إلىٰ المساجد الثلاثة** (رواه البخاري:١١٨٩)، **ونهىٰ عن الوفاء بالنذور عند أماكن عبادة الأصنام وأعياد الجاهلية** (رواه أبو داود:٣٣١٣)، **ونهىٰ عن اعتقاد العدوىٰ والطيرة** (رواه البخاري:٥٧٠٧)، **ونهىٰ عن الغلو في الأنبياء والصالحين** (رواه البخاري:٣٤٤٥، ٤٩٢٠)، **ونهىٰ عن اتخاذ القبور مساجد** (رواه مسلم:٥٣٢)، **ونهىٰ عن التماثيل** (رواه مسلم:٩٦٩)، **ونهىٰ عن الصلاة عند طلوع**

الشمس وعند غروبها (رواه البخاري:٥٨٥). كل ذلك تعظيمًا لأصل التوحيد وحماية له من أسباب الشرك ووسائله.

الإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه:

وهو الإيمان بتفرُّد الله عز وجل بأحسن الأسماء وأكمل الصفات، وهذا الإيمان يقوم علىٰ أصلين عظيمين:

أحدهما: أنَّ الله له الأسماء الحسنىٰ والصفات العُلىٰ الدالة علىٰ صفات الكمال، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

الثاني: أنَّ الله تعالىٰ منزَّه عن صفات النقص مطلقًا، وأنَّه لا يماثله أحد من خلقه، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ:١١].

وقد دلَّ القرآن العظيم علىٰ أسس ثلاثة في فهم صفات الله عز وجل:

الأساس الأول: تنزيهه ﷻ عن أنْ يماثل شيءٌ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ:١١].

الأساس الثاني: الإيمان بما وصف الله تعالىٰ به نفسه في الكتاب والسنة الصحيحة، لأنه لا أحد أعلم بالله مِنَ الله، قال الله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٠]، فيجب التزام النصوص الواردة في هذا الباب والإيمان بها علىٰ ظاهرها.

الأساس الثالث: العلم بأنَّه لا يمكن إدراك الكيفية لصفات الله تعالىٰ، لأن إدراك الكيفية يتطلب إدراك حقيقة الله تعالىٰ، والإنسان عاجز عن ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠].

إنَّ أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ دالة علىٰ معانٍ في غاية الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فيجب الإيمان بتلك المعاني، والإيمان بما يقتضيه كل اسم من تلك الأسماء من الأحكام، وما يترتب عليها من الأفعال والآثار، فمثلًا؛ حين يعلم المؤمن أنَّ الله تعالىٰ هو الرازق الخالق فإن ذلك يُثمر عبودية التوكل. وحين يعلم المؤمن أنَّ الله تعالىٰ سميع بصير؛ فإنَّ ذلك يُثمر حفظ اللسان وهكذا. ويجب أنْ يتعلم المؤمن الثناء علىٰ الله تعالىٰ ودعاءه في كل مقام بما يناسبه من الأسماء، فعند طلب الرزق؛ يسأل الله تعالىٰ بأسماء الغنىٰ والجود والكرم، وعند طلب النصر علىٰ العدو؛ يسأل الله تعالىٰ بأسماء القوة والقهر والعظمة والعلم، وعند سؤال العفو والمغفرة؛ يسأل الله تعالىٰ بأسماء اللطف والرحمة والحلم والمغفرة والعفو، وهكذا. **وينبغي الاهتمام بدراسة الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ وتَعَلُّم معانيها وحفظها،** فهي تملأ قلب المؤمن بمعاني الإجلال والحب والخوف والرجاء والتوكل وصحة التوسل.

من ثمرات الإيمان بالله تعالى:

إنَّ من يتعرف إلىٰ الله فإنه يسهل عليه أنْ يتوجه بقلبه خالصًا لله تعالىٰ، فيبذل له خالص المحبة وأصدقها وأكملها، ومن يتعرف إلىٰ الله ويؤمن به، فإنَّه يدعو الله تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ بحسب حالاته وتنوع حاجاته، ومَنْ يؤمن بالله، فإنَّه يتعلم صدق التوكُّل علىٰ الله تعالىٰ، وكمال تفويض الأمر إليه، اعتمادًا وثقة وتعلُّقًا. ومن يحقق كمال التوحيد الخالص والإيمان الراسخ لله تعالىٰ بكمال قدرته وعلمه وملكه وحكمته؛ تحقق له الأمن والهداية في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. وإنَّ كمال المعرفة بالله تعالىٰ، وتدبر عظمته وجلاله وجماله وكماله؛ يُوْرِث العبد خشية وتقوىٰ وقوة وهداية، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]، ويكون الحب والرغبة والرجاء دوافعه للعمل والطاعة والانقياد،

ويصبح الإحسان إلىٰ الخلق ورحمتهم والعفو عنهم؛ غاية لمن يرجو الله واليوم الآخر، فالجزاء من جنس العمل. يقول تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧]. وإنَّ من يتحقق له كمال الإيمان بالله تعالىٰ؛ فإنَّ الله يدافع عنه ويحفظه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣]، وإنَّ الإيمان بالله وحده، يُكَفِّر السيئات، ويزيد الحسنات، ويصلح البال، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢]، وكلما زاد الإيمان؛ زادت البركات والسكينة والطمأنينة في حياة المؤمن، وزاد انتفاعه بها.

مراجع للاستزادة:

١. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء.

٢. عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد العثيمين.

٣. المنهج الصحيح، د. عبد الله الغنيمان.

٤. العقيدة في الله، د. عمر الأشقر.

٥. المختصر في مسائل الإيمان، د. عيسىٰ السعدي.

٦. القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، محمد العثيمين.

٧. توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، د. محمد إبراهيم الحمد.

٨. إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤال وجواب، وليد السعيدان.

٩. الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي.

١٠. الدلائل القرآنية، عبد الرحمن السعدي.

١١. شموع النهار، عبد الله العجيري.

١٢. دلالة الأسماء الحسنىٰ علىٰ التنزيه، د. عيسىٰ السعدي.

١٣. البراهين العقلية علىٰ وحدانية الرب ووجوه كماله، عبد الرحمن السعدي.

١٤. الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس.

١٥. لأنك الله، علي الفيفي.

١٦. الإيمان، حقيقته وزيادته وثمرته، د. عبد الله الغنيمان.

١٧. العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبد العزيز بن باز.

١٨. بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعًا، عبد العزيز بن باز.

١٩. الحق الواضح المبين، عبد الرحمن السعدي.

٢٠. براهين وأدلة إيمانية، عبد الرحمن الميداني.

٢١. دلائل أصول الإسلام، إعداد مركز صناعة المحاور.

٢٢. فقه الأسماء الحسنىٰ، عبد الرزاق البدر.

٢٣. شرح الأسماء الحسنىٰ، سعيد القحطاني.

٢٤. شروط شهادة أن لا إله إلا الله، محمد عبد الله مختار.

٢٥. أهمية توحيد الألوهية وكيفية تحقيقه، محمود العشري.

الركن الثاني

الإيمان بالملائكة

الملائكة: مخلوقات من نور خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره، فهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]، وإنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، لا يعلم عددهم إلا الله تعالىٰ، وقد كلَّفهم الله تعالىٰ بأعمال ووظائف مختلفة. ومنهم رسل أرسلهم الله تعالىٰ إلىٰ أنبيائه ورسله من البشر لتبليغ وحيه ورسالاته، قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

الإيمان بالملائكة: هو الإيمان بأنَّهم خلق من خلق الله، وأنَّ منهم من ينزل بالوحي علىٰ الأنبياء بأمر الله، **وهذا هو الإيمان الذي يجب علىٰ كل مؤمن أنْ يؤمن به، ويجب أنْ يؤمن أيضًا بكل ما بلغه من تفاصيل هذا الركن الواردة في القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ**.

العلاقة بين الإيمان بالله تعالى والإيمان بالملائكة:

إنَّ الإيمان بالملائكة تصديق بالإيمان بالله تعالىٰ، فقد أخبر الله تعالىٰ عنهم، وهم رسله إلىٰ خلقه، فمن كمال رحمة الله تعالىٰ وحكمته، أنْ يبيِّن للناس الغاية من خلقهم، والمقصود من إيجادهم، وعليه فقد اصطفىٰ سبحانه رسلًا من الملائكة يقومون بإيصال الوحي إلىٰ الرسل والأنبياء من البشر، وكذلك من كمال قوة الله تعالىٰ وقدرته أنْ خلق جنودًا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أدلة الإيمان بالملائكة:

الذي دل علىٰ وجود الملائكة: الوحي، وليس للعقل أو الحس طريق لمعرفة ذلك، وإنْ كان العقل لا يُحيل وجودها، فوجود الملائكة من قبيل المعرفة الغيبية التي لا سبيل إلىٰ معرفتها إلا عن طريق الوحي فقط، -والوحي أهم المصادر المعرفية كما تقدم معنا- ومن أدلة ذلك ما يأتي:

١. قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

٢. قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

٣. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

٤. قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج:٧٥].

٥. قال الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

٦. وفي حديث جبريل لما سأل رسولَ الله ﷺ عن الإيمان؟ قال ﷺ: «**أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**» (رواه مسلم: ٨).

أمَّا الإيمانُ المفصَّل بالملائكةِ فيتضمَّن أمورًا، منها:

- **الأمر الأول: الإيمان بما ورد من صفاتهم، ومنها:**

١. أنَّها مخلوقات موصوفة بالحسن والجمال في المنظر والخلق والطول، قال تعالىٰ: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦].

٢. أنَّهم لا يوصفون بالذكورة والأنوثة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

٣. أنَّ لهم أجنحة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١]، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا قضىٰ اللَّهُ الأمرَ في السَّماءِ ضربَتِ الملائِكَةُ بأجنحتِها خُضعانًا لقولِهِ**» (رواه البخاري:٤٨٠٠).

٤. لا يَمَلُّون ولا يتعبون من ذكر الله تعالىٰ وعبادته، قال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٥. لا يحتاجون إلىٰ طعام أو شراب، قال تعالىٰ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٦-٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٠].

٦. خلق الله تعالىٰ الملائكة من نور، قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارِجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدَمُ ممَّا وُصِفَ لَكُمْ**» (رواه مسلم:٢٩٩٦)

٧. أنَّ منهم مخلوقات عظيمة، فقد «**رأىٰ النبيُّ ﷺ جِبْرِيلَ في صُورَتِهِ وخَلْقُهُ سَادٌّ ما بيْنَ الأُفُقِ**» (رواه البخاري:٣٢٣٤)، وفي صفة حملة العرش «**إنَّ ما بينَ شحمةِ أُذنهِ إلىٰ عاتِقِه، مسيرةُ سبعمئة عامٍ**» (رواه أبو داود:٤٧٢٧).

٨. أنَّ عددهم كثير جدًّا لا يحصيهم إلا الله تعالىٰ، «**فما في السماء من موضع أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضِعٌ جبهَتَهُ لله ساجدًا**» (رواه الترمذي:٢٣١٢)، و«**البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فيه كُلَّ يومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ**» (رواه البخاري:٣٢٠٧).

٩. الإيمان بمن سمَّىٰ الله تعالىٰ لنا في القرآن، أو سماه لنا رسوله ﷺ في السنة من الملائكة، ومنهم: جبريل عليه السلام، وميكائيل عليه السلام، وإسرافيل عليه السلام، «**كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ**» (رواه مسلم:٢٧٠)، ومالك عليه السلام خازن النار، قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧] وغيرهم.

١٠. أنَّهم ليسوا علىٰ درجة واحدة في الخلق والمقدار بل يتفاوتون كما يتفاوتون في الفضل، «**جَاءَ جِبْرِيلُ إِلىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أو كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلائِكَةِ**» (رواه البخاري:٣٩٩٢).

١١. أعطىٰ الله تعالىٰ بعض ملائكته قدرة علىٰ التمثل بصورة البشر، قال تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، وحديث جبريل:

«إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ» (رواه مسلم:٨)، وفي قصة من قتل تسعة وتسعين نفسًا: **«فأتاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ»** (رواه مسلم:٢٧٦٦).

- **الأمر الثاني: الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم، وما دلَّت عليه النصوص من اختصاصهم، والإيمان بأنَّهم يقومون بما كلفوا خير قيام:**

فمنهم من خُلِق لعبادة الله تعالىٰ فقط، فإذا رفعوا رؤوسهم قالوا: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات:١٦٤-١٦٦]، قال تعالىٰ: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠].

ومنهم: المكلفون بحمل العرش قال تعالىٰ: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧].

ومنهم: المكلفون بالتبليغ، قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:١]، وحمل العرش وتبليغ الوحي أعظم مهام الملائكة عليهم السلام.

ومنهم: خزنة الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

ومنهم: خزنة النار، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المدثر:٣١].

ومنهم: ملائكة قبض الأرواح، قال تعالىٰ: ﴿۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة:١١]، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢].

ومنهم: المكلَّفون بتدبير الأمر من السماء إلىٰ الأرض بإذن الله ومشيئته، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات:٥].

ومنهم: المكلَّف بالجبال، ومن ذلك أنَّ عائشة رضي الله عنها قالَتْ للنبيِّ ﷺ: هلْ أتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟ قالَ: «**لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ ما لَقِيتُ، وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَىٰ ابْنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلىٰ ما أرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ علَىٰ وجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذا أنا بسَحابَةٍ قدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ، فَنادانِي فقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، فَنادانِي مَلَكُ الجِبالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، فقالَ، ذلكَ فِيما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ؟ فقالَ النبيُّ ﷺ: بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ، لا يُشْرِكُ به شيئًا**» (رواه البخاري:٣٢٣١).

ومنهم: المكلَّفون بحفظ بني آدم، قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١].

ومنهم: من يحفظ أعمال بني آدم، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

ومنهم: من يلتمس مجالس الذكر وحلق العلم، قال ﷺ: «**لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ**» (رواه مسلم:٢٧٠٠).

ومنهم: كُتَّاب الناس يوم الجمعة علىٰ أبواب المساجد الأول فالأول، قال ﷺ: «**إذَا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ وقَفَتِ المَلَائِكَةُ علَىٰ بَابِ المَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأوَّلَ فَالأوَّلَ، ومَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الذي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، ويَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**» (رواه البخاري:٩٢٩).

ومنهم: من يصلي علىٰ المصلين مدة انتظارهم لصلاة الجماعة، قال ﷺ: «**المَلَائِكَةُ تُصَلِّي علَىٰ أحَدِكُمْ ما دَامَ في مُصَلَّاهُ الذي صَلَّىٰ فِيهِ، ما لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» (رواه البخاري:٤٤٥).

ومنهم: المكلَّفون بسؤال الميت في القبر، قال ﷺ: «**إنَّ العَبْدَ إذَا وُضِعَ في قَبْرِهِ وتَوَلَّىٰ عنْه أصْحَابُهُ، وإنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتَاهُ مَلَكَانِ فيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فأمَّا المُؤْمِنُ، فيَقولُ: أشْهَدُ أنَّه عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ، فيُقَالُ له: انْظُرْ إلىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قدْ أبْدَلَكَ اللَّهُ به مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُما جَمِيعًا**» (رواه البخاري:١٣٧٤).

ومنهم: الموكَّلُون بنفخ الروح وكتابة رزقه وعمله، قال ﷺ: «**إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إلَيْهِ مَلَكًا بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وأَجَلُهُ، ورِزْقُهُ، وشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ**» (رواه البخاري:٣٣٣٢).

ومنهم: الموكَّلون بتبليغ النبي ﷺ سلام أمته عليه، قال ﷺ: «**إنَّ للهِ ملائكةً سيَّاحينَ في الأرضِ يُبلِّغوني عن أُمَّتي السَّلامَ**» (رواه ابن حبان:٩١٤). وغيرهم كثير عليهم السلام.

إنَّ وجود الملائكة مِنْ أهم الأدلة التي تدلُّ علىٰ عظمة الله وكمال ربوبيته وألوهيته، وعلىٰ أنَّ الكون ليس مستقلًّا ومستغنيًا بذاته، فهذا الكون محتاج إلىٰ الله في وجوده واستمراره، وقد وكَّل الله بعض ملائكته أنْ يُدبِّروا كثيرًا من أمور هذا الكون، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والجبال، وغير ذلك. وهذا التدبير إنَّما هو تدبير بإذن الله تعالىٰ وأمره وحكمته وقدرته.

- **الأمر الثالث: الواجب تجاه الملائكة:**

يجب علينا محبتهم وتعظيمهم والحذر من سبِّهم أو تنقصهم أو الاستهزاء بهم أو عداوتهم، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨]، وكذلك يجب البعد عن كل ما يؤذي الملائكة، «**فإِنَّ المَلائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ ممَّا يَتَأَذَّىٰ منه بَنُو آدَمَ**» (رواه مسلم:٥٦٤)، ولا يجوز وصفهم بأنوثة ولا ذكورة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٩]، وأما الوصف بالذكورة فلعدم وروده، ولا يجوز أن نصفهم بصفة لم ترد.

من ثمرات الإيمان بالملائكة:

إنَّ من أهم ثمرات الإيمان بالملائكة: زيادة الإيمان بالله تعالىٰ، والإيمان بعظمته وقوته وقدرته وحكمته في خلق هذه المخلوقات العظيمة، وكذلك الإيمان بالملائكة يحث العبد علىٰ شكر الله تعالىٰ علىٰ عنايته بالكون والإنسان، إذ جعل ملائكة كرامًا يقومون بالمهام الموكلة إليهم تجاههم. إنَّ الإيمان بالملائكة يساعد المؤمن في الامتثال والتأسِّي بهم في دوام طاعتهم وحسن عبادتهم لله. وإنَّ الإيمان بالملائكة كذلك يحافظ علىٰ المجتمع ويحميه من الأذىٰ بالأقوال أو الأفعال أو الروائح الكريهة، «**فإِنَّ المَلائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ ممَّا يَتَأَذَّىٰ منه بَنُو آدَمَ**» (رواه مسلم:٥٦٤). إنَّ الإيمان بالملائكة يعين المؤمن علىٰ الاستقامة علىٰ أمر الله في السر والعلن، فالعبد إذا ذكر حضورهم استحىٰ أنْ يرتكب ما يغضب الله تعالىٰ، وكذلك استحضار حضورهم يعزز الطمأنينة والسكينة وتحقيق الأمن النفسي، ما يجعل العبد يحرص علىٰ تطلب أماكنهم والحصول علىٰ دعواتهم وصلواتهم واستغفارهم.

مراجع للاستزادة:

١. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء.

٢. عالم الملائكة الأبرار، د. عمر الأشقر.

٣. حقيقة الملائكة، أحمد النجار.

٤. عقيدة الإيمان بالملائكة وأدلتها، محمد الدريويش.

٥. الملائكة الكرام بين أهل السنة ومخالفيهم، فهد الساعدي.

٦. الملائكة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية موضوعية، د. عبد المنعم الحواس.

٧. الإيمان بالملائكة حقيقته وتأثيره في حياة المؤمن، الحضرمي الطلبة.

٨. الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة، د. صالح الفوزان.

٩. أهمية الإيمان بالملائكة وعلاماته النفسية والاجتماعية والخلقية، د. محمود سعدات.

الركن الثالث

الإيمان بالكتب

المراد بالكتب: هي الكتب التي فيها كلام الله تعالىٰ، الذي أوحاه إلىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام، سواءٌ ما أنزله عن طريق المَلَك مشافهة كالقرآن، أو ما نزل مكتوبًا من عند الله تعالىٰ كالتوراة التي نزلت مكتوبة في الألواح، كتبها الله تعالىٰ بيده.

الإيمان بالكتب: هو الإيمان بأنَّ الله أنزل علىٰ من شاء من أنبيائه كتبًا هي كلامه، ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأنَّها جميعًا منسوخة بالقرآن، وهذا هو الإيمان الذي يجب علىٰ كل مؤمن أنْ يؤمن به، ويجب أنْ يؤمن أيضًا بكل ما بلغه من تفاصيل هذا الركن الواردة في القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

العلاقة بين الإيمان بالله تعالى والإيمان بالكتب:

إنَّ الإيمان بالكتب تصديق بالإيمان بالله تعالىٰ، فقد أخبر الله تعالىٰ عنها، فهي رسالته إلىٰ خلقه، ومن كمال علم الله تعالىٰ وحكمته ورحمته، أنَّه أنزل الكتب علىٰ الناس تِبيانًا لكل شيء، توضح لهم الغاية من خلقهم، والحكمة من إيجادهم، وتُبيِّن لهم طرق الهداية والفلاح، وفق ما يناسبهم من شرائع وأحكام، وهي التي تُعَرِّف الخلق بالخالق، وتُعَرِّفهم الغاية من خلقهم.

الحكمة من إنزال الكتب:

١. تعليم الخلق التوحيد وهو الغاية من خلقهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

٢. ليكون الكتاب المنزل هو المرجع لأتباعه لمعرفة دينهم، وهدايتهم، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

٣. ليكون الكتاب المنزل هو الحكم العدل بينهم في كل ما يختلفون فيه، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

٤. لتكون هذه الكتب حجة الله تعالىٰ علىٰ خلقه، لا يسعهم مخالفتها ولا الخروج عنها، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

٥. لبيان صدق الرسل عليهم السلام الذين أرسلهم الله، وإثبات ماحصل لهم من نبوة واصطفاء، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد:٢٥].

٦. بيان عظيم فضل الله علىٰ عباده، إذ أنزل عليهم كُتُبًا تُخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، وتهديهم سبيل الرشاد، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

- **ويشمل الإيمان بالكتب عامة أمورًا، منها:**

١. الإيمان بما سمَّىٰ الله تعالىٰ منها تفصيلًا: كصحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، وإجمالًا بما لم يسمِّه منها، قال تعالىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلىٰ:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورىٰ:١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [البقرة:١٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

٢. الإيمان بأنَّها من كلام الله تعالىٰ، تكلَّم بها حقيقة كما شاء بكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤].

٣. الإيمان بأنَّ بعضها يُصدِّق بعضًا، وكلها تدعو إلىٰ التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦]، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

٤. أنَّ الحجة قامت علىٰ المخاطَبين بها في عصرها، فيجب عليهم العمل بها، ولا يجوز لهم مخالفتها، قال تعالىٰ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧]، وقد كانت الكتب السابقة مقيَّدة بزمانها وقومها، قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال ﷺ: «**وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلىٰ قَوْمِهِ خاصَّةً**» (رواه البخاري:٤٣٨، ومسلم:٥٢١).

- **وأما الإيمان بالقرآن خاصة فيشمل أمورًا، منها:**

١. الإيمان بأنَّه كلام الله تعالىٰ حروفه ومعانيه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، قال ﷺ: «**ألا رجلٌ يحمِلُني إلىٰ قومِه، فإنَّ قريشًا قد منعوني أن أبلِّغَ كلامَ ربِّي**» (رواه أبو داود:٤٧٣٤).

٢. الإيمان بعموم دعوته وشمول شريعته، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

٣. الإيمان بأنَّ القرآنَ آخر الكتب، وهو ناسخٌ لجميع الكتب السابقة، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾ [المائدة:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:٨١-٨٢].

٤. الإيمان بحفظ الله تعالىٰ للقرآن، حفظ للفظه ومعناه وحفظ للعمل به، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]، فلا يأتيه الباطل ولا يتغير، ولا يترك العمل به حتىٰ يأتي الله تعالىٰ بأمره.

٥. الإيمان بأنَّ القرآن هو الآية العظمىٰ والأعم والأبقىٰ، قال ﷺ: «**ما مِنَ الأنْبياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يومَ القِيامَةِ**» (رواه البخاري:٤٩٨١، ومسلم:١٥٢)، فهو أعظم أسباب كثرة أتباع النبي ﷺ لعموم نفعه وعمق أثره علىٰ من يقرؤه ويسمعه.

٦. الإيمان بوجوب العمل به، والحرص علىٰ تعلُّمه وتعليمه وتعظيمه، قال تعالىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢]، وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» (رواه البخاري:٥٠٢٧).

ما الذي يثبت أنَّ القرآن كتاب الله فعلًا؟

إنَّ الأدلة التي تثبت أنَّ هذا القرآن كلام الله تعالىٰ كثيرة، منها:

١. أنَّ هذا القرآن تحدىٰ الله تعالىٰ به غير المؤمنين به علىٰ أن يأتوا بمثله فعجزوا، مع أنَّ الذين تحداهم كانوا أفصح مَن نطق بالعربية، ودواعيهم متوفرة. وقد حاربوه وناصبوه العداء بعد أنْ عجزوا عن أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]،

وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [هود:١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣].

٢. سلامته من الاختلاف والنقصان، ولو كان القرآن ليس كلام الله تعالىٰ لوجدنا فيه اختلافًا كثيرًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:٨٢]، هذا مع أنَّ القرآن نزل مُنجَّمًا ولم ينزل دفعة واحدة.

٣. لو حاول أي شخص أنْ يزيد أو ينقص فإن ذلك سيعرف مباشرة، لأن الله تعالىٰ هو الذي تكفل بحفظه، بخلاف غيره من كتب الشرائع السابقة التي وَكَل حفظها إلىٰ أتباع الأنبياء، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت:٤٢]، وسر التفريق أنَّ الكتب السابقة جيء بها علىٰ التوقيت لا التأبيد، أما القرآن فجيء به علىٰ التأبيد مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، فكان جامعًا لفضل ما سبق وزائدًا عليها.

٤. الإعجاز العظيم الذي اشتمل عليه القرآن في التشريعات والأحكام، مع بلوغه الغاية في البيان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾ [النحل:٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

٥. الإخبار بالأمور الغيبية الماضية والمعاصرة للتنزيل والمستقبلية مما لا يمكن لبشر مهما بلغ من العلم أنْ يحيط بها. قال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ

لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف:٣]. وكذلك ما ورد في القرآن الكريم من بعض العلوم التي لم تعهدها العرب في ذلك الزمن، قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

٦. أنَّ في القرآن بعض الآيات التي فيها معاتبة للنبي ﷺ، فلو كان هذا القرآن من عند رسول الله ﷺ، لما احتاج إلىٰ هذا، قال تعالىٰ: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب:٣٧]، بل قد يحتاج النبي ﷺ لنزول الوحي، ومع ذلك تمضي الأيام دون نزوله، ما يدلُّ علىٰ أن الوحي ليس من عنده ﷺ.

٧. ومن الأدلة أيضًا، ما يجده المسلم في نفسه من الراحة والطمأنينة عند قراءته، وهي راحة وطمأنينة لا يجدها عند قراءة غيره من الكتب، وذلك مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، مع ما يعتري القارئ من هيبة وإجلال وتعظيم له، هذا فضلًا عن أنه لا يملُّ من كثرة التكرار ولا يسأم.

٨. ومن الدلائل أيضًا ما يحصل به من الاستشفاء عند تلاوته، قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

٩. أنَّ القرآن مع كونه بهذا الإعجاز والكمال، فهو ميسَّر للقراءة والحفظ والعمل به، إذ يستطيع المسلم تدبر معانيه وحفظ مبانيه والعمل به. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:١٧].

١٠. أنَّ أسلوب القرآن مختلف في نظمه عن أساليب أحاديث العرب قاطبة، ولو كان القرآن من عمل محمد ﷺ لكان أولىٰ أنْ ينسبه لنفسه، فعظمة القرآن سترفع من مرتبته بينهم.

١١. جوابه الشافي المحيط المباشر عن أسئلة الإنسان الكبرىٰ، وعنايته التامة بمشكلة معنىٰ الحياة -وهي المشكلة الكبرىٰ عند الإنسان المتسائل عبر العصور- فالقرآن حَسَم مادة الشكوك التي تراود الإنسان حول حقيقة الوجود، والخلود، والغاية، والمصير، ولغز الكون، ومعنىٰ الحياة، ومعنىٰ الموت. قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

أيبقىٰ بعد هذا شك في أنَّ هذا القرآن هو كلام الله تعالىٰ، وليس من قول بشر يعتري عملهم وقولهم التغير والنقص، فهو من عند الله الذي تكفَّل بحفظه وأثبت إعجازه وأوجب الإيمان والعمل به.

- **سلَّمْنا أنَّ القرآن كلام الله، فكيف نتأكد أنَّ القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي جاء به الرسول ﷺ؟**

إنَّ الأشياء إذا تكررت تقررت، وإذا تواترت تأكدت، وهذا القرآن قد نقل إلينا متواترًا، والمسلمون توارثوا نقله جيلًا عن جيل، -من غير قطع معلوم في تاريخ نقله- محفوظًا في الصدور والسطور علىٰ صفته التي وضع عليها أول مرة، يتدارسونه في مجالسهم، ويتلونه في صلواتهم، ويعلِّمونه أولادهم حتىٰ وصل إلينا بهذه العناية المزدوجة -الحفظ والكتابة- معصومًا من الزيادة والنقصان، ومحفوظًا من التحريف والتبديل. ومع كثرة تربص أعداء الله تعالىٰ؛ فإنهم لم يجدوا ما يقدحون فيه ولم يستطيعوا محاكاته ولا مجاراته. ولم يستطِع أحد ألبتة أنْ يثبت أنه مختلق أو مكذوب؛ ولا يعني هذا أنه لم يوجد من ادَّعىٰ ذلك، فقد وُجد، ولكن هذه الدعوىٰ لم ولن تثبت.

لماذا نحتاج إلى كتاب هداية محفوظ؟

إذا كانت بعض الآلات -وهي من صنع الإنسان- تحتاج إلىٰ كتيب إرشادي يعلِّمنا كيف نستخدمها الاستخدام الأمثل؛ فالإنسان -بكل ما يحمله من غموض وأسرار- والذي هو من صنع الله تعالىٰ من باب أولىٰ أنْ يحتاج إلىٰ كتاب هداية وإرشاد، يعلِّمه طريق النجاح والفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة. قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، وبما أنَّ النبي محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء، فلا بد من أن تستمر معجزته وتكون خالدة، لأنه لا نبي بعده، فيجب أنْ تبقىٰ الحجة علىٰ الخلق قائمة، وأنْ يكون الكتاب الأخير كتابًا شاملًا واضحًا محفوظًا.

من ثمرات الإيمان بالكتب:

١. أنَّ الإيمان بالكتب يزيد من الإيمان بالله تعالىٰ، ومعرفة كمال عناية الله تعالىٰ بعباده ورحمته بهم؛ إذ أنزل الكتب لتهديهم إلىٰ سواء السبيل، ما يُورِثُ النفس أمانًا واطمئنانًا، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦]، وكذلك الإيمان بالكتب يُورِثُ الإيمان بكمال حكمة الله وسعة علمه، إذ شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم.

٢. أنَّ الإيمان بالكتب يحفز المؤمن لطلب العلم والاهتمام به والحرص عليه، فهذه الكتب هي التي تقود الإنسان إلىٰ عبادة الله علىٰ بصيرة.

٣. أنَّ الإيمان بهذه الكتب والعلم بها يحقق الأمان المعرفي الذي تنشده النفس الإنسانية، ففي هذه الكتب نجد الإجابات التي تبحث عنها النفس، ونجد

فيها كذلك كمال الهداية التي يحتاج إليها الإنسان، فهذه الكتب تسعىٰ إلىٰ هداية الناس إلىٰ غاية كلية واحدة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

٤. وأخيرًا فإنَّ الإيمان بالكتب يبيِّن للمؤمن عظيم فضل الله عليه، إذ خصه بالقرآن خاتمة الكتب وأعظمها وأيسرها.

مراجع للاستزادة:

١. الإيمان بالكتب، د. محمد بن إبراهيم الحمد.

٢. الإيمان بالكتب، أحمد النجار.

٣. المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد أبو شهبة.

٤. النبأ العظيم، محمد دراز.

٥. الإيمان بالقرآن، عبد العزيز المطيري.

٦. تنزيه القرآن الكريم عن دعاوىٰ المبطلين، منقذ السقار.

٧. الإيمان بالكتب، د. محمد الجهني.

٨. دلائل أصول الإسلام، إعداد مركز صناعة المحاور.

الركن الرابع

الإيمان بالرسل

عليهم الصلاة والسلام

الأنبياء والرسل: هم بشر أوحىٰ الله تعالىٰ إليهم وأمرهم بتبليغ الرسالة لأقوامهم، ودعوتهم إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده، أولهم آدم عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ.

حقيقة النبوة: هي إنباء الله ﷻ لرسوله وأمره بتبليغ كلامه لعباده، وهي خاصية يَمُنُّ الله تعالىٰ بها علىٰ من يشاء من عباده، ويختار لها من شاء من خلقه. قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج:٧٥].

الإيمان بالرسل: هو الإيمان بأنَّ الله أرسل إلىٰ الناس رسلًا منهم، ليأمروهم بعبادة الله وحده، وأنَّ خاتمهم هو محمد ﷺ، وهذا هو الإيمان الذي يجب علىٰ كل مؤمن أن يؤمن به، ويجب أن يؤمن أيضًا بكل ما بلغه من تفاصيل هذا الركن الواردة في القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

العلاقة بين الإيمان بالله تعالى والإيمان بالرسل عليهم السلام:

إنَّ الإيمان بالرسل عليهم السلام تصديق بالإيمان بالله تعالىٰ، فقد اختارهم الله تعالىٰ لِيُبَلِّغُوا رسالته إلىٰ خلقه، ويأمروهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وقد اصطفاهم الله رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة بعد الرسل، فلا طريق لمعرفة الله وشرعه والغاية من خلق الخلق؛ إلا عن طريق هؤلاء الرسل الذين اصطفاهم الله بفضله وحكمته.

الفرق بين النبي والرسول:

يذكر بعض العلماء فروقًا بينهما، منها: أن النبي والرسول كلاهما أُوحي إليه بوحي، إلا أنَّ الرسول أمره الله بتبليغه، أما النبي فلم يؤمر بالتبليغ. ومنهم من يقول: كلاهما مأمور بالبلاغ، إلا أن الرسول معه كتاب من عند الله، والنبي يكون تبعًا لرسول آخر. ومنهم من يقول: الرسول مأمور بتبليغ رسالة ما إلىٰ أمة من الأمم المكذبين، وأما النبي فهو مأمور بالبلاغ والدعوة، دون أن يكون هناك رسالة مستقلة إلىٰ أمة جديدة من الأمم المكذبة، وقيل غير ذلك من الفروق، **والذي يهمُّنا معرفته هو: أنَّ الرسالة مَرتبة فوق النبوة؛ ولذا فالرسل أفضل من الأنبياء، وفي كلٍّ فضلٌ عليهم الصلاة والسلام.**

الإسلام دين جميع الأنبياء:

الإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. فكلهم يدعون إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده ونبذ عبادة ما سواه، فهم وإنْ اختلفت شرائعهم وأحكامهم فإنَّهم متفقون علىٰ الأصل وهو التوحيد. قال ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» (رواه البخاري:٣٤٤٣)، فالنبي ﷺ شبَّه الأنبياء بإخوة لأب واحد وأمهاتهم مختلفات، فدين التوحيد واحد، ولكنَّ الأحكام تختلف.

الحكمة من إرسال الرسل:

١. تعبيد الناس لرب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

٢. إقامة الحجة على البشر بإرسال الرسل، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

٣. إيجاد قدوات حسنة يقتدي الناس بها، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

٤. إصلاح النفوس وتزكيتها وتطهيرها، وتعليم الناس بعض الأمور الغيبية التي لا يدركونها بعقولهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

٥. تبليغ الشريعة ودلالة الناس على الخير، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩]، وقال ﷺ: «**إنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلَّا كانَ حَقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خَيْرِ ما يَعْلَمُهُ لهمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لهمْ**» (رواه مسلم:١٨٤٤).

دلائل النبوة:

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٤]، وهي دعوة منه سبحانه للتفكر في حال الأنبياء إذ كانوا يقيمون الدلائل والبينات، وسنذكر هنا أدلة صدق الأنبياء والرسل عامَّةً، ثم نذكر أدلة صدق النبي محمد ﷺ خاصَّةً، وهي كما يأتي:

من أدلة صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة:

١. شهادة الله تعالىٰ لهم بالصدق، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣]، ووصف سبحانه عددًا من رسله بالصديقية، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم:٤١]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم:٥٦]، وقوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦]، وغيرهم.

٢. تأييد الله تعالىٰ لهم علىٰ دعواهم بالحجج والآيات، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد:٢٥].

٣. أنهم أوفر الناس عقلًا، وأفضلهم سيرة، وأحسنهم أخلاقًا، وأكثرهم أمانة، وأصدقهم ديانة، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٧٥].

٤. تجردهم لدعوتهم التي جعلتهم يتبرؤون من قراباتهم وأرحامهم المخالفين لهم، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

٥. بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين والحديث عنهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

وبمجموع هذه الأمور عُلم صدق حالهم ومقالهم مما يوقن معه المرء أنهم أنبياء الله، لأن جنس ما يدعو إليه الأنبياء وأحوالهم معلوم في الجملة، وعليه فاجتماع هذه الأمور دليل الصدق.

أما دلائل صدق النبي محمد ﷺ فكثيرة، ومنها:

١. **شهادة الناس بصدقه ﷺ**، وانتفاء الكذب عنه، ومن ذلك: شهادة قومه الذين نشأ بين ظهرانيهم، وهم مَن ناصبوه العداء بعد نبوته. وهذا من أبلغ الدلالة علىٰ كمال اتصافه بالصدق، أنْ تصف قريشٌ النبي ﷺ بالصدق وتنفي الكذب عنه مع عدائها له، ولا تتجرأ علىٰ أن تسِمَه بالكذب مطلقًا طيلة حياته. وكذلك شهادة أهل الكتاب باتصاف النبي ﷺ بالصدق ونفي الكذب عنه، وكذلك شهادة أتباعه ﷺ باتصافه بالصدق ونفي الكذب عنه.

٢. **شهادة كتب الأنبياء السابقين له، بل ليس فيها ما يوجب تكذيب النبي ﷺ، ولا التحذير منه**، فكل الأنبياء حذروا من فتنة المسيح الدجال الكذاب، ولم يُحذروا من دعوة محمد ﷺ، بل بشروا به. ولو كان محمد ﷺ كاذبًا في دعوىٰ النبوة لكانت فتنته أعظم؛ وعلىٰ الرغم من ذلك ما زالت دعوته قائمة إلىٰ أن يرث الله تعالىٰ الأرض ومن عليها.

٣. **الدلالة علىٰ صدقه من جهة حاله ﷺ**، وتتبين هذه الدلالة من عدة أمور، منها: من المعلوم بالضرورة أنه لا يمكن لرجل كاذب، مداوم علىٰ الكذب، ويدعي النبوة، وأنه في كل يوم يأتيه وحيٌ جديد من الله تعالىٰ، ومع هذا لم يستطِع أحد أن يلاحظ ذلك عليه ويعرف حقيقته، ومنها؛ أنَّ مَن كان صادقًا مع البشر مُحال أن يكذب علىٰ ربه فيما يُبلغ عنه، فهل تراه يذر الكذب علىٰ الناس ثم يكذب علىٰ الله تعالىٰ؟! ومنها؛ بقاء النبي ﷺ علىٰ كمال أخلاقه الحميدة من أول عمره إلىٰ آخره، ومنها؛ أنه لاقىٰ أنواع المشاق والمتاعب لأجل ما دعا إليه واستمراره علىٰ الدعوة إلىٰ الحق، حتىٰ دان له الأعداء فقهرهم، ولا يكون هذا إلا بإعانة الله تعالىٰ له، فالنبي كامل في خَلْقه وخُلِقه، مُكمل لغيره بدعوته، ومنها؛ أن الله تعالىٰ ما أمره بأمر إلا كان أول الفاعلين له، ولم يُنهَ عن أمر إلا كان أول المُنتهين عنه،

ولو ثبت أنه أمر بشيء ولم يفعله، ولم يمتثل به، وفعل خلافه، أو أنه نُهي عن شيء ومن ثم فعله؛ لكان كذبه بيِّنًا صلوات ربي وسلامه عليه.

٤. **آياته** ﷺ، وآيات النبي ﷺ كثيرة ثابتة بالتواتر المعنوي، فمنها: **أنَّه انشق له القمر** (رواه البخاري:٣٦٣٦)، **وعدد من المرضىٰ برأ بدعائه أو بلمسة يده** (رواه البخاري:٢٩٤٢)، **والطعام كُثِّر ببركته عدة مرات** (رواه البخاري:٦٠٢)، **والماء نبع من بين أصابعه** (رواه البخاري:٣٥٧٩)، **والجذع حنَّ لفراقه** (رواه البخاري:٩١٨). **وإخباره بحوادث مستقبلية، منها: أنَّه أخبر عديًا بأن الله تعالىٰ سيتم هذا الأمر حتىٰ يصير الراكب لا يخشىٰ إلا الله** (رواه البخاري:٣٥٩٥)، **وأنَّ الله تعالىٰ سيفتح الشام واليمن والعراق، وأنَّ نفرا من أصحابه سيخرجون إليها ويدعون المدينة** (رواه البخاري:١٨٧٥)، **وأنَّه إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده** (رواه البخاري:٣١٢٠)، **وأنَّ عمارًا تقتله الفرقة الباغية** (رواه البخاري:٤٤٧)، **وأنَّ عمر وعثمان شهيدان** (رواه البخاري:٣٦٧٤)، **وأنَّ أصحابه يقتلون أمية بن خلف** (رواه البخاري:٣٩٥٠)، **ونعىٰ النجاشي في اليوم الذي مات فيه وهو بالحبشة ورسول الله ﷺ بالمدينة** (رواه البخاري:١٢٤٥)، **ونعىٰ جعفرًا وزيدًا وابن رواحة حين قتلوا في مؤتة وهو بالمدينة ﷺ وكان يصف المعركة** (رواه البخاري:١٢٤٦)، **وأخبر عن أنباء الماضي**، فحكىٰ عن مريم وعيسىٰ، وعن موسىٰ وأهل مدين، والمؤتفكات، وقوم تبع، وأصحاب الرس، وثمود، وعاد، وفرعون، وإخوان لوط، هذا وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب.

٥. **ما اشتملت عليه شريعته** ﷺ، مما يتعلق بالاعتقاد والعبادات والمعاملات والآداب والحكم من الكمال والإحسان والإحكام، دليل علىٰ أنَّها رسالة سماوية، فظهر في وقت كان الناس في أمسِّ الحاجة لمن يهديهم إلىٰ الصراط المستقيم.

٦. **من أعظم دلائل نبوته ﷺ: القرآن العظيم،** فهو الكتاب الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]؛ ومن أعظم دلائل عظمته بلاغته وفصاحته، وقد تحدىٰ به رسول الله ﷺ فُحول العرب في الفصاحة أنْ يأتوا بسورة من مثله، وقد بيَّن لنا رسول الله ﷺ أنَّ اتساق هذا القرآن وكماله هو أعظم آية تدل علىٰ صدقه.

٧. **دلالة اتصاف النبي ﷺ بكمال الصدق من جهة أتباعه،** ومعلوم أنَّ كل كمال في الفرع المُتعلِّم هو من الأصل المُعلِّم، وهذا يقتضي أنَّه كان أكمل الناس علمًا ودينًا، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنَّه كان صادقًا في قوله إني رسول الله إليكم جميعًا، لم يكُن كاذبًا مفتريًا.

- **ويشمل الإيمان بالرسل عليهم السلام أمورًا، منها:**

١. الإيمان بأنَّ الله تعالىٰ اصطفاهم واجتباهم علىٰ علم ليُبلِّغُوا رسالاتِه إلىٰ خلقه، قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥].

٢. الإيمان بصدقهم، وتصديق الله تعالىٰ لهم فيما جاؤوا به من عنده، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر:٥١].

٣. الإيمان بأنَّهم أشرف الخلق نسبًا، وأكملهم علمًا وعملًا وأخلاقًا، قال تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠].

٤. الإيمان بأنَّهم بلَّغوا الرسالة لأقوام حق البلاغ، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤].

٥. الإيمان بعصمتهم عن الخطأ فيما يُبَلِّغُون به عن ربهم، فالآيات الدالة علىٰ نبوة الأنبياء دلت علىٰ أنَّهم معصومون فيما يخبرون به عن الله ﷻ، فلا يكون خبرهم إلا حقًّا، وهذا معنىٰ النبوة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧].

٦. الإيمان بفضلهم، وتفضيل الله تعالىٰ بعضهم علىٰ بعض، قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [الإسراء:٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٧. الإيمان بمن ورد ذكر اسمه من الأنبياء في القرآن، وهم: آدم عليه السلام، وإدريس عليه السلام، ونوح عليه السلام، وهود عليه السلام، وصالح عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، ولوط عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام، وإسحاق عليه السلام، ويعقوب عليه السلام، ويوسف عليه السلام، وشعيب عليه السلام، وأيوب عليه السلام، وذو الكفل عليه السلام، وموسىٰ عليه السلام، وهارون عليه السلام، وداوود عليه السلام، وسليمان عليه السلام، وإلياس عليه السلام، واليسع عليه السلام، ويونس عليه السلام، وزكريا عليه السلام، ويحيىٰ عليه السلام، وعيسىٰ عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ، وهؤلاء خمسة وعشرون نبيًّا، قال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٣-٩٠]، ونؤمن إجمالًا بمن لم يذكر لنا منهم، قال تعالىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٤، ١٦٥].

- **وأما الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ فيشمل أمورًا:**

١. تصديقه فيما أخبر، قال تعالىٰ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم:٣، ٤]، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وألَّا يعبد الله إلا بما شرع، قال ﷺ: «**من عملَ عملًا ليس عليه أمرنُا فهو ردٌّ**» (رواه البخاري:٢٦٩٧، ومسلم:١٧١٨).

٢. الإيمان بأنَّه خاتم النبيين وآخر المرسلين، فلا نبي بعده، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقال ﷺ: «**وخُتِمَ بيَ النَّبِيُّونَ**» (رواه البخاري:٢٩٧٧، ومسلم:٥٢٣).

٣. أنَّه سيد المرسلين، قال ﷺ: «**أنَا سَيِّدُ النَّاسِ**» (رواه البخاري:٤٧١٢، ومسلم:١٩٤).

٤. أنَّه مرسل للناس كافة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال ﷺ: «**وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلىٰ قَوْمِهِ خاصَّةً وبُعِثْتُ إلىٰ**

النَّاسِ عَامَّةً» (رواه البخاري:٣٣٥).

٥. أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمىٰ، فلا يقضىٰ بين الناس يوم القيامة إلا بشفاعته ﷺ (رواه البخاري:٤٧١٢، ومسلم:١٩٤).

٦. أنه ﷺ أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له، وأول من يدخلها، لا يدخل أحدٌ قبله (رواه مسلم:١٩٦).

٧. أنه صاحب لواء الحمد يحمله ﷺ يوم القيامة، قال ﷺ: «**وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ، وما من نبيٍّ يومئذٍ آدمَ فمن سواهُ إلَّا تحتَ لوائي**» (رواه الترمذي:٣٦١٥).

٨. أنه ﷺ صاحب المقام المحمود، أي: المنزلة التي يحمده عليها الخالق والمخلوق (رواه البخاري:٤٧١٨).

٩. أنه ﷺ صاحب الوسيلة، وهي المنزلة العالية في الجنة، قال ﷺ: «**وأَرْجُو أنْ أكُونَ أنا هُوَ، فمَن سَأَلَ لي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعَةُ**» (رواه مسلم:٣٨٤).

١٠. أن الله تعالىٰ أيَّده بالقرآن، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء:٨٨].

١١. أنه ﷺ قد بَلَّغَ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

١٢. وجوب محبته ﷺ، وتقديم محبته علىٰ النفس وسائر الخلق، قال ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّىٰ أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ**» (رواه البخاري:١٥).

١٣. محبة أصحابه ﷺ وأهل الإيمان من أهل بيته وأزواجه، وموالاتهم جميعًا والحذر من سبهم أو الطعن فيهم بشيء، فإن الله تعالىٰ قد رضي عنهم واختارهم لصحبة نبيه ﷺ، وأوجب موالاتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فلوْ أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ**» (رواه البخاري:٣٦٧٣).

العلاقة بين الإيمان بالله والإيمان بالنبي محمد ﷺ:

إنَّ من لوازم الإيمان بالله تعالىٰ الإيمان بكمال حكمته وعلمه وعدله، ومن ذلك إرسال الرسل عليه السلام، وخاصة خاتمهم وآخرهم، وقد ورد الإيمان بالنبي ﷺ مقترنًا بالإيمان بالله تعالىٰ في مواضع كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن:٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد:٧].

وورد الكفر به ﷺ مقترنًا بالكفر بالله تعالىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة ٨٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة ٨٤].

وعليه فلا يتم الإيمان بالله تعالىٰ إلا عند الإيمان بنبيه محمد ﷺ، وهذا هو منطوق الركن الأول من أركان الإسلام، وحقيقة أركان الإيمان.

التفاضل بين الرسل:

يتفاضل الرسل فيما بينهم كما قرَّر الله سبحانه وتعالىٰ ذلك صراحةً في كتابه، إذ قال تعالىٰ: ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ**﴾ [البقرة:٢٥٣]، وخَيْرُ الرسل هم أولو العزم من الرسل، ومحمد ﷺ أفضل الرسل وخاتم النبيين، قال ﷺ: «**فُضِّلْتُ علىٰ الأنْبياءِ بسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ طَهُورًا ومَسْجِدًا، وأُرْسِلْتُ إلىٰ الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النَّبِيُّونَ**» (رواه مسلم:٥٢٣)، وهذا التفضيل محض اصطفاء من الله تعالىٰ لا ينقص من قدر أحدهم شيئًا.

لماذا خُتمت النبوة؟

إنَّ أمر إرسال الرسل مرتبط بحكمة الهداية والإرشاد، فالبشر لا يستغنون عن الوحي بذاتهم، ولا بد من نبي يعلمهم أو كتاب يهديهم، ولما أصاب الكتب السابقة النقص والتحريف بعد موت الرسل عليهم السلام، اقتضت حكمة الله تعالىٰ أن يرسل رسولًا ويُنَزِّل عليه كتابًا محفوظًا إلىٰ يوم القيامة، إذ تكفَّل الله تعالىٰ بحفظه إلىٰ يوم القيامة، وعليه فالحاجة إلىٰ شريعة جديدة منتفية، لأن النبي ﷺ قد جاء بالدين الكامل، قال تعالىٰ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣]

وبما أنَّ القرآن آية بحدِّ ذاته، وحجة قائمة علىٰ الخلق أجمعين، ومحفوظ إلىٰ يوم الدين؛ كان الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالىٰ: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ** أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال ﷺ: «**إنَّ مَثَلِي ومَثَلَ الأنْبِياءِ مِن قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به، ويَعْجَبُونَ له، ويقولونَ هَلَّا وُضِعَتْ هذِه اللَّبِنَةُ؟ قالَ: فأنا اللَّبِنَةُ وأنا خاتِمُ النبيِّينَ**» (رواه البخاري:٣٥٣٥).

وقد جاء الختم للنبوة المتضمن للحكم بختمٍ للرسالة، لأن النبوة أعم من الرسالة، فختم النبوة يشمل الأمرين معًا، أما ختم الرسالة فلا يشمل ختم النبوة، لأنَّ مقام الرسالة أخص من مقام النبوة.

ومن لوازم الإيمان بختم النبوة الإيمان بكمال الدين، وأنه لا يمكن الزيادة عليه، قال ﷺ: «**مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ**» (رواه البخاري:٢٦٩٧)، وهذا يعني رد كل المخترعات والبدع في الدين التي ليس لها مستند من الكتاب والسنة.

من ثمرات الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

إنَّ الإيمان بالرسل عليهم السلام يزيد من الإيمان بالله تعالىٰ، وبكمال علمه وحكمته، وكذلك يزيد من الإيمان برحمة الله تعالىٰ وعنايته بعباده، إذ أرسل لهم رسلًا منهم تدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، وتعلمهم الكتاب والحكمة وتزكيهم، وهذا مما يوجب محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومعرفة أنَّ محبتهم من محبة الله تعالىٰ، إذ اصطفاهم لرسالاته، وخصهم بوحيه. إنَّ الإيمان بالرسل عليهم السلام خير معين للمؤمن الصادق الذي ينشد الاستقامة علىٰ أمر الله، فهم قدوة في كل شيء، ومن ذلك التأسي بهم في العبادة والدعوة، والاقتداء بهم في حسن البيان، وعظيم الصبر، وجميل النصح، وهذه المعاني تورث اليقين بحسن العاقبة للمتقين وجزيل المثوبة للصابرين المحسنين. إن الإيمان بالرسل عليهم السلام ومطالعة صدق سيرتهم وحسن عملهم وبذلهم يعزز اليقين بصحة هذا الدين، ويستوجب علىٰ المؤمن محبتهم والدعاء لهم والصلاة عليهم.

مراجع للاستزادة:

١. الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر.

٢. المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل، أحمد النجار.

٣. خلاصات في مباحث النبوات، د. عيسىٰ السعدي.

٤. حقوق النبي ﷺ علىٰ أمته، د. محمد التميمي.

٥. دلائل النبوة، منقذ السقار.

٦. عقيدة ختم النبوة، أحمد الغامدي.

٧. نبوة محمد من الشك إلىٰ اليقين، فاضل السامرائي.

٨. الرسول ﷺ، مكانته، حقوقه، وجوب اتباع سنته، عبد العزيز بن باز.

٩. دلائل أصول الإسلام، إعداد مركز صناعة المحاور.

الركن الخامس

الإيمان باليوم الآخر

المراد باليوم الآخر: هو يوم القيامة، سُمِّي باليوم الآخر لأنَّه يأتي بعد هذه الدنيا أو في آخرها، ويسمَّىٰ يوم القيامة لقيام الناس فيه لربِّ العالمين، ولـه أسماء عديدة، وكلها تدل علىٰ عظم شأنه، وحث الناس علىٰ الاستعداد له.

الإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بالبعث في يوم عظيم هو يوم القيامة، لمجازاة الخلق، فمن أحسن فله الجنة، ومن أساء فله النار، وهذا هو الإيمان الذي يجب علىٰ كل مؤمن أن يؤمن به، ويجب أن يؤمن أيضًا بكل ما بلغه من تفاصيل هذا الركن الواردة في القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

العلاقة بين الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله:

- إنَّ الإيمان باليوم الآخر من لوازم الإيمان بالله تعالىٰ، فإنَّ من كمال عدل الله وحكمته وقدرته، أنَّه يجمع الناس في الآخرة ليحكم بين العباد بالحق، إذ تجد كل نفس ما قدمتْ، فيجازي المحسن علىٰ إحسانه، والمسيء علىٰ إساءته إلا أنْ يعفو الله عنه. إنَّ من يؤمن باليوم الآخر صدقًا؛ فإنَّه يؤمن بالله حقًّا، لأنَّ اليوم الآخر من لوازم الإيمان بكمال عدل الله، فتجد المؤمن يرجو رحمة الله ويخشىٰ عذابه، وبذلك نجد آيات كثيرة تقرن بين الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله.

الحكمة من مجيء اليوم الآخر:

الذي دلَّ علىٰ تفاصيل اليوم الآخر هو الوحي، ولمجيء اليوم الآخر حِكَمٌ تضمَّنت الإشارة إليها بعض الآيات المحكمات كقوله تعالىٰ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى

يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ:٤-٦]، ويمكن إجمال تلك الحِكَم بالآتي:

١. مجازاة المحسنين بالإحسان، والمسيئين بما عملوا إنْ لم يغفر الله لهم، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]. وقال تعالىٰ: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس:٤].

٢. إظهار عدل الله وحكمته وفضله ورحمته، والحُكْمُ بين الخلق بالحق، وأداء الحقوق إلىٰ أهلها، قال تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال ﷺ: «**لتؤَدُّنَّ الحُقوقَ إلىٰ أهْلِها حتىٰ يُقادَ للشَّاةِ الجَلحاءِ مِن الشَّاةِ القَرْناءِ**» (رواه مسلم:٢٥٨٢).

٣. إثبات صدق ما أخبرت به الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٦٥].

٤. إظهار صدق أتباع الأنبياء الذين آمنوا وعملوا ودعوا إلىٰ ما دعا إليه الأنبياء من قبلهم، وإظهار كذب الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ

تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ [الجاثية:٢٧-٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١].

- **ويشمل الإيمان باليوم الآخر كل ما بعد الموت، وتفاصيله كثيرة، ومنها:**

١. الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه.

٢. أشراط الساعة وعلاماتها الكبرىٰ والصغرىٰ.

٣. البعث.

٤. الحشر.

٥. الحساب.

٦. الميزان.

٧. الحوض.

٨. الصراط والقنطرة.

٩. الشفاعة وأنواعها.

١٠. الجنة والنار.

أولًا: الفتنة في القبر:

دلت النصوص علىٰ سؤال الملائكة للميت في القبر، ومن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنَّه قال عن الميت: «**فيَأتيهِ مَلَكانِ، فيُجلِسانِه، فيقولانِ: مَن ربُّكَ؟ فيقولُ: ربِّيَ اللهُ، فيقولانِ: وما دِينُكَ؟ فيقولُ: ديني الإسلامُ، فيقولانِ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هو رسولُ اللهِ ﷺ**» (رواه أبو داود:٤٧٥٣)، وفي الحديث الصحيح أنه قال أيضًا: «**إنَّ العَبْدَ إذَا وُضِعَ في قَبْرِهِ وتَوَلَّىٰ عنْه أصْحَابُهُ، وإنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتَاهُ مَلَكَانِ فيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولانِ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فأمَّا المُؤْمِنُ، فيَقولُ: أشْهَدُ أنَّه عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ، فيُقَالُ له: انْظُرْ إلىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قدْ أبْدَلَكَ اللَّهُ به مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُما جَمِيعًا -قالَ قَتَادَةُ: وذُكِرَ لَنَا: أنَّه يُفْسَحُ له في قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إلىٰ حَديثِ أنَسٍ- قالَ: وأَمَّا المُنَافِقُ والكَافِرُ فيُقَالُ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيَقولُ: لا أدْرِي، كُنْتُ أقُولُ ما يقولُ النَّاسُ، فيُقَالُ: لا دَرَيْتَ ولَا تَلَيْتَ، ويُضْرَبُ بمَطَارِقَ مِن حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ**» (رواه البخاري:١٣٧٤).

- **نعيم القبر وعذابه:**

اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ ما دلَّت عليه النصوص من أنَّ نعيم القبر وعذابه حق، وهو مترتب علىٰ فتنة القبر والسؤال فيه، وقد ورد في ذلك عدة نصوص منها:

١. قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

٢. أنَّ الرسول ﷺ قال: «**إنَّ أحَدَكُمْ إذَا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ، إنْ كانَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، وإنْ كانَ مِن أهْلِ النَّارِ فَمِنْ أهْلِ النَّارِ، فيُقَالُ: هذا مَقْعَدُكَ حتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ**» (رواه البخاري:١٣٧٩، ومسلم:٢٨٦٦).

٣. وكذلك ما صح عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لَوْلا أنْ لا تَدافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أنْ يُسْمِعَكُمْ مِن عَذابِ القَبْرِ**» (رواه مسلم:٢٨٦٨).

٤. وما صح أنَّ النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «**إنهما ليُعذبان**» (رواه البخاري:٢١٨، ومسلم:٢٩٢).

٥. كان النبي ﷺ يتعوَّذ من عذاب القبر (رواه البخاري:١٣٧٦، ومسلم:٥٨٦).

٦. وقد أجمع أهل السنة علىٰ إثبات نعيم القبر وعذابه.

ثانيًا: أشراط الساعة:

أشراط الساعة: علاماتها، ولا يعلم متىٰ تقوم الساعة إلا الله تعالىٰ وحده، قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

ولكنَّ الله تعالىٰ برحمة منه وضع بين يديها علاماتٍ لتنبيه الناس وتذكيرهم وإيقاظ الغافلين منهم، وحثَّهم علىٰ التوبة والاستعداد، وقد قسَّم العلماء هذه العلامات إلىٰ قسمين:

١. **العلامات الصغرىٰ**: وهي التي تدل علىٰ اقتراب الساعة، وهي كثيرة جدًّا، وقد وقع كثير منها، مثل:

- **بعثة النبي ﷺ** (رواه البخاري:٦٥٠٣).
- **وموت النبي ﷺ** (رواه البخاري:٣١٧٦).
- **وضياع الأمانة** (رواه البخاري:٥٩).
- **وزخرفة المساجد والتباهي بها** (رواه أبو داود:٤٤٩).

- **وتطاول الرعاة في البنيان** (رواه البخاري:٥٠).
- **وتقارب الزمن** (رواه البخاري:٦٠٣٧).
- **وظهور الفتن** (رواه أبو داود:٤٢٥٩).
- **وكثرة الزنا والفسوق** (رواه البخاري:٨٠).
- **وكثرة القتل والزلازل** (رواه البخاري:١٠٣٦) وغيرها كثير.

٢. **العلامات الكبرىٰ**: وهي التي تكون بين يدي الساعة، وهي عشر علامات لم يظهر منها شيء بعدُ، وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ اطَّلع علىٰ أصحابه رضي الله عنهم وهم يتذاكرون فقال: «**ما تَذَاكَرُونَ؟ قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قالَ: إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّىٰ تَـرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إلىٰ مَحْشَرِهِمْ**» (رواه مسلم:٢٩٠١).

ثالثًا: البعث: وهو إحياء الناس بعد موتهم يوم القيامة.

- **من الأدلة علىٰ البعث:**

١. التذكير بأنَّ الذي ابتدأ الخلق علىٰ غير مثال سبق قادر علىٰ إعادة بعثه، فالإعادة أهون من الابتداء، قال تعالىٰ: قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٧٧-٨٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ

﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٦-٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:١٥].

٢. التذكير بإحياء الأرض بالمطر بعد موتها دلالة علىٰ البعث، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج:٥-٧].
وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل:٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم:٥٠].

٣. التذكير بأنَّ من خلق السماوات والأرض قادر علىٰ البعث، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالىٰ:

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر:٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد:٢].

٤. الإخبار ببعض الوقائع الحسية التي تدل علىٰ البعث؛ كإحياء قتيل بني إسرائيل، قال تعالىٰ: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣]. وإحياء الذي مرَّ علىٰ قرية بعد موتها، قال تعالىٰ: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وإخبار الله تعالىٰ عن إماتة أناس ثم أحياهم، قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. وإخبار الله تعالىٰ عن أهل الكهف، قال تعالىٰ: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف:١١-١٢].

- **بيان كيفية البعث:**

فأول يوم القيامة النفخ في الصور نفخة الفزع والصعق، ثم نفخة البعث التي تعود فيها الأرواح إلىٰ الأجساد فتحيا، ثم تُحشر الخلائق إلىٰ رب العباد، والصور هو القرن الذي ينفخ فيه الملك الموكَّل بالنفخ، قال تعالىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

[الزمر:٦٨]. وثبت أنَّ النبي ﷺ أخبر أنَّ الله تعالىٰ ينزل مطرًا: «**فَتَنْبُتُ منه أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَىٰ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**» (رواه مسلم:٢٩٤٠).

رابعًا: الحشر: وهو جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم، إذ يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الناس «مُلاقُو اللَّهِ حُفاةً عُراةً مُشاةً غُرْلًا» (رواه البخاري:٦٥٢٤)، كما بدأ الله ﷻ أول خلق يعيده.

- **من الأدلة علىٰ الحشر:**

١. قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩، ٥٠].

٢. وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:٤٤].

٣. وقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَومَ القِيامَةِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ويُنْفِذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ منهمْ» (رواه البخاري:٣٣٦١، ومسلم:١٩٤).

٤. وقال ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ علَىٰ أرْضٍ بَيْضاءَ عَفْراءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ، قالَ سَهْلٌ أو غَيْرُهُ: ليسَ فيها مَعْلَمٌ لأحَدٍ» (رواه البخاري:٦٥٢١)

خامسًا: الحساب: وهو إطلاع الله تعالىٰ عباده علىٰ أعمالهم قبل الانصراف من المحشر.

- **من الأدلة علىٰ الحساب:**

١. قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

٢. قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٣. قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

٤. قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

٥. وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق:٧-٨].

٦. أول من يحاسب من الأمم هذه الأمة، لقوله ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ مِن أَهْلِ الدُّنْيا، والأوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، المَقْضِيُّ لهمْ قَبْلَ الخَلائِقِ**» (رواه مسلم:٨٥٦).

٧. أول ما يُقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء، لقوله ﷺ: «**أَوَّلُ ما يُقْضَىٰ بيْنَ النَّاسِ في الدِّمَاءِ**» (رواه البخاري:٦٨٦٤).

٨. ورد التنصيص علىٰ السؤال عن بعض الأعمال، ليهتم العبد بها ويجتهد في الاستعداد لذلك اليوم، ومن ذلك: السؤال عن الكفر والشرك، قال تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾ [الشعراء:٩٢]، وعن القرآن والعمل به، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٣-٤٤]، وعن النعيم الذي حصل له في الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]، وعن العهود والمواثيق، قال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٤]، وعن إضلال الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٣]، وعن السمع والبصر والفؤاد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٦].

- **كيفية أخذ الكتب:**

بعد الحساب تنشر صحائف الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير:١٠] أي: تُفْتَحُ وتُبْسَطُ. فآخذٌ كتابه بيمينه، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧، ٨]، وآخذٌ كتابه بشماله، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥].

سادسًا: الميزان: والميزان هو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن الصحائف وأعمال العباد وغيرها، وهو ميزان حقيقي له كفتان لا يعلم قدره ولا كيفيته إلا الله تعالىٰ.

- **من الأدلة علىٰ الميزان:**

١. قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

٢. قال تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

٣. قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٦-٩].

٤. قال النَّبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**» (رواه البخاري:٧٥٦٣، ومسلم:٢٦٩٥).

٥. قال النَّبي ﷺ: «**الطُّهورُ شطرُ الإيمانِ، والحمدُ للَّهِ تملأُ الميزانَ**» (رواه مسلم:٢٢٣).

٦. قال ﷺ: «**ما مِن شيءٍ أثقلُ في الميزانِ مِن حُسْنِ الخُلُقِ**» (رواه أبو داود:٤٧٩٩).

فمن ثقلت موازين حسناته علىٰ سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته علىٰ حسناته استحق النار، إلا أنْ يشفع فيه الشفعاء، أو يعفو الله تعالىٰ عنه، ومن أعظم الأعمال التي تثقل الميزان؛ حسن الخلق وذكر الله.

سابعًا: الورود علىٰ الحوض: وهو مجتمع الماء النازل من الكوثر، وهو حوض النبي ﷺ في عرصات يوم القيامة، يَرِدُ عليه من أجابه واتبعه من أمته.

- **من الأدلة علىٰ الحوض:**

١. قال رسول الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، ماؤُهُ أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، ورِيحُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ، مَن شَرِبَ مِنْها فلا يَظْمَأُ أبَدًا**» (رواه البخاري:٦٥٧٩، ومسلم:٢٢٩٢)، والكيزان: جمع كوز؛ وهي الأكواب الموضوعة علىٰ جانبيه مثل نجوم السماء في عددها ولمعانها.

٢. قال ﷺ: «**إنَّ قَدْرَ حَوْضِي كما بيْنَ أيْلَةَ وصَنْعاءَ مِنَ اليَمَنِ، وإنَّ فيه مِنَ الأبارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّماءِ**» (رواه البخاري:٦٥٨٠)، وأيلة مدينة من طرف الشام.

٣. أول من يَرِدُ عليه فقراء المهاجرين، قال ﷺ: «**أولُ الناسِ ورودًا عليه فقَراءُ المهاجرينَ**» (رواه الترمذي:٢٤٤٤).

٤. يطرد عنه من أحدث في دين الله ما لا يرضاه الله تعالىٰ، قال ﷺ: «**أنا فَرَطُكُمْ علَىٰ الحَوْضِ، ولَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجالٌ مِنكُم ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فأقُولُ: يا رَبِّ أصْحابِي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ**» (رواه البخاري:٦٥٧٦)، وليختلجن أي: يعدل بهم عن الحوض ويبعدون عنه.

- **الفرق بين الحوض والكوثر:**

الكوثر هو الخير الكثير، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، ومنه نهر في الجنة أعطاه الله للنبي ﷺ، قال ﷺ: «**بيْنَما أنا أسِيرُ في الجَنَّةِ، إذا أنا بنَهَرٍ، حافَتاهُ قِبابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلتُ: ما هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا الكَوْثَرُ، الذي أعْطاكَ رَبُّكَ**» (رواه البخاري:٦٥٨١). وأما الحوض فيكون في أرض المحشر، يتدفق فيه «**ميزابان يمدانه من الجنة**» (رواه مسلم:٢٣٠١)، فيَرِدُ عليه المؤمنون قبل دخولهم الجنة.

ثامنًا: الصراط: وهو جسر منصوب علىٰ جهنم ليعبر الناس عليه حسب أعمالهم، فناجٍ مخدوش، وناج مُسلَّم وهؤلاء يدخلون الجنة، وأما المكردس فيلقىٰ في نار جهنم.

- **من الأدلة علىٰ الصراط:**

١. قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١-٧٢]، فُسِّر الورود هنا بالصراط علىٰ أحد الأقوال.

٢. وقال ﷺ: «**ويُضْرَبُ الصِّراطُ بيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فأكُونُ أنا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يُجِيزُها**» (رواه البخاري:٧٤٣٧، ومسلم:١٨٢).

٣. وقال ﷺ: «**ويُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: فأكُونُ أوَّلَ مَن يُجِيزُ، ودُعَاءُ الرُّسُلِ يَومَئذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**» (رواه البخاري:٦٥٧٣).

٤. يكون الصراط زلقًا، ويتفاوت الناس في المرور علىٰ الصراط تفاوتًا عظيمًا؛ وذلك لأنَّ المرور عليه إنما يكون بقدر الأعمال الصالحة التي قدمها المرء المسلم لربه في الحياة الدنيا، قال ﷺ: «**ثُمَّ يُؤْتَىٰ بالجسْرِ**

فيُجْعَلُ بيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يا رَسولَ اللَّهِ، وما الجسْرُ؟ قالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عليه خَطَاطِيفُ وكَلَالِيبُ، وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وكَالْبَرْقِ وكَالرِّيحِ، وكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ والرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، ونَاجٍ مَخْدُوشٌ، ومَكْدُوسٌ في نَارِ جَهَنَّمَ، حتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا» (رواه البخاري:٧٤٣٩).

٥. بعد ذلك ينتقل من نجا من الصراط إلىٰ القنطرة: وهي موضع بين الجنة والنار، يقف فيه المؤمنون الذين جاوزوا الصراط ونجوا من النار لأجل أن يُقتصَّ لبعضهم من بعض قبل دخول الجنة، فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوْا أُذِنَ لهم في دخولها، حتىٰ إذا دخلوا الجنة كانوا متطهرين مطهرين، ليس لأحد عند الآخر مظلمة، ولا يطلب بعضهم بعضًا. قال ﷺ: «**يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فيُحْبَسُونَ علَىٰ قَنْطَرَةٍ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِن بَعْضٍ مَظالِمُ كانَتْ بيْنَهُمْ في الدُّنْيا، حتَّىٰ إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أهْدَىٰ بمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ منه بمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنْيا**» (رواه البخاري:٦٥٣٥).

تاسعًا: الشفاعة: وهي سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثام للغير، ويندرج تحتها عدة أنواع، منها:

١. الشفاعة العظمىٰ في أهل الموقف، عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول مكثهم؛ يسعون ليُشفع لهم عند ربهم بتخليصهم من كربات الموقف وأهواله، فيعتذر أولو العزم من الرسل عنها حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ نبينا ﷺ. وهي خاصة بالنبي ﷺ، فيشفع لهم ليقضي الله تعالىٰ بينهم ويتخلصوا من هول الموقف، وهي من المقام المحمود، قال ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ، وهلْ تَـدْرُونَ مِمَّ ذلكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ**

الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ ولا يَحْتَمِلُونَ، فيَقولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ ما قدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلىٰ رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: علَيْكُم بآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السَّلَامُ فيَقولونَ له: أنْتَ أبو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إلىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إلىٰ ما نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَىٰ إلىٰ ما قدْ بَلَغَنَا؟ فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلىٰ غيرِي، اذْهَبُوا إلىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فيَقولونَ: يا نُوحُ، إنَّكَ أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلىٰ أهْلِ الأرْضِ، وقدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إلىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إلىٰ ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ: إنَّ رَبِّي عزَّ وجلَّ قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ كَانَتْ لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا علَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلىٰ غيرِي، اذْهَبُوا إلىٰ إبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ فيَقولونَ: يا إبْرَاهِيمُ أنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وخَلِيلُهُ مِن أهْلِ الأرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إلىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إلىٰ ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ لهمْ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ -فَذَكَرَهُنَّ أبو حَيَّانَ في الحَديثِ- نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلىٰ غيرِي، اذْهَبُوا إلىٰ مُوسَىٰ، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فيَقولونَ: يا مُوسَىٰ أنْتَ رَسولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ برِسَالَتِهِ وبِكَلَامِهِ علَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إلىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إلىٰ ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلىٰ غيرِي، اذْهَبُوا إلىٰ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فيَقولونَ: يا عِيسَىٰ أنْتَ رَسولُ اللَّهِ، وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلىٰ مَرْيَمَ

ورُوحٌ منه، وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنا إلىٰ رَبِّكَ ألا تَرَىٰ إلىٰ ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ عِيسَىٰ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلىٰ غيرِي اذْهَبُوا إلىٰ مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ أنْتَ رَسولُ اللَّهِ وخَاتِمُ الأنْبِيَاءِ، وقدْ غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنا إلىٰ رَبِّكَ، ألَا تَرَىٰ إلىٰ ما نَحْنُ فِيهِ؟ فأنْطَلِقُ فَآتي تَحْتَ العَرْشِ، فأقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عزَّ وجلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ علَىٰ أحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأقُولُ: أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا رَبِّ، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ أدْخِلْ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسَابَ عليهم مِنَ البَابِ الأيْمَنِ مِن أبْوَابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَىٰ ذلكَ مِنَ الأبْوَابِ، ثُمَّ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّ ما بيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِن مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كما بيْنَ مَكَّةَ وحِمْيَرَ -أو كما بيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَىٰ» (رواه البخاري:٤٧١٢).

٢. شفاعته ﷺ في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال ﷺ: **«يَدْخُلُ مِن أُمَّتي الجَنَّةَ سَبْعُونَ ألْفًا بغيرِ حِسابٍ، فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، ادْعُ الله أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ منهمْ، ثُمَّ قامَ آخَرُ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، ادْعُ اللهِ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ قالَ: سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ»** (رواه البخاري:٦٥٤٢، ومسلم:٢١٦).

٣. شفاعته ﷺ في أهل الجنة أنْ يؤذن لهم في دخول الجنة، قال ﷺ: **«آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيامَةِ فأسْتَفْتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ: مَن أنْتَ؟ فأقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقولُ: بكَ أُمِرْتُ لا أفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»** (رواه مسلم:١٩٧).

٤. شفاعته ﷺ في رفع درجات أهل الجنة في الجنة، قال ﷺ شافعًا لأبي سلمة: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ»** (رواه مسلم:٩٢٠).

٥. شفاعته ﷺ في أقوام استحقوا دخول النار بقدر ذنوبهم ألَّا يدخلوها، قال ﷺ: «**شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**» (رواه الترمذي:٢٤٣٦).

٦. شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها، قال ﷺ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بشَفاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**» (رواه البخاري:٦٥٦٦).

٧. شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب، قال ﷺ: «**هو في ضَحْضَاحٍ مِن نَارٍ، ولَوْلا أنَا لَكانَ في الدَّرَكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» (رواه البخاري:٣٨٨٣، ومسلم٢٠٩).

٨. يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصديقون، قال ﷺ: «**ثم يُـؤْذَنُ لِلمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ أنْ يَشفَعوا، فَيَشفَعونَ، وَيُخرِجونَ، وَيَشفَعونَ، وَيُخرِجونَ، وَيَشفَعونَ، وَيُخرِجونَ**» (رواه أحمد:٢٠٤٤٠).

٩. وتبقىٰ الشفاعة الكبرىٰ وهي شفاعة أرحم الراحمين سبحانه وتعالىٰ، قال ﷺ: «**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ والمَلَائِكَةُ والمُؤْمِنُونَ، فيَقولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فيُخْرِجُ أقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فيُلْقَوْنَ في نَهَرٍ بأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ له: مَاءُ الحَيَاةِ**» (رواه البخاري:٧٤٣٩).

وإنَّ من يتأمل هذه الشفاعات؛ يظهر له عظيم رحمة الله بعباده، وعظيم فضله عليهم، فهو لم يخلقهم ليعذبهم، بل يسر لهم جميع الأسباب التي يرحمهم بها بموجب فضله ﷻ، ولن يعذِّب مِن خلقه إلا من أبىٰ وعاند وكفر بموجب عدله ﷻ.

- **شروط الشفاعة**: ولا تصح الشفاعة عند الله تعالىٰ إلا بشرطين:

١. رضا الله عن الشافع.

٢. إذن الله تعالىٰ للشافع أن يشفع.

قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه:١٠٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

عاشرًا: الجنة والنار: والجنة هي الدار التي أعدها الله تعالىٰ لأوليائه وأهل طاعته، والنار هي الدار التي أعدها الله تعالىٰ للكافرين.

- **الجنة؛ دار المؤمنين:**

للجنة عدة أسماء، منها الجنة، ومنها دار السلام قال تعالىٰ: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام:١٢٧]، ومنها دار المقامة قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [فاطر:٣٤-٣٥]، ومنها دار الخلد، ومنها جنة المأوىٰ قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٤١]، وغيرها كثير.

- **وصف الجنة:**

دلت الأحاديث الكثيرة علىٰ عظم الجنة ونعيمها، ففيها «**ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**» (رواه البخاري:٧٤٩٨)، وسنذكر هنا طرفًا من وصف الجنة ونعيمها:

١. قال الله تعالىٰ في وصف ثمارها وأنهارها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

٢. وقال تعالىٰ في وصف سررها وخدمها وشرابها وطعامها: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ

مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-٢٤].

٣. عرضها كعرض السماوات والأرض، قال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

٤. أبواب الجنَّة ثمانية يدخل المؤمنون منها علىٰ حسب أعمالهم؛ قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِن أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يا عَبْدَ اللَّهِ هذا خَيْرٌ، فمَن كانَ مِن أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّلَاةِ، ومَن كانَ مِن أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِن بَابِ الجِهَادِ، ومَن كانَ مِن أَهْلِ الصِّيَام دُعِيَ مِن بَابِ الرَّيَّانِ، ومَن كانَ مِن أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّدَقَةِ، فَقالَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: بأَبِي أنْتَ وأُمِّي يا رَسولَ اللَّهِ ما علَىٰ مَن دُعِيَ مِن تِلكَ الأبْوَابِ مِن ضَرُورَةٍ، فَهلْ يُدْعَىٰ أحَدٌ مِن تِلكَ الأبْوَابِ كُلِّهَا، قالَ: نَعَمْ وأَرْجُو أنْ تَكُونَ منهمْ**» (رواه البخاري: ١٨٩٧).

٥. درجات الجنة، قال ﷺ: «**إن في الجنة مئة درجةٍ، أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سبيلِه، كلُّ درجتينِ ما بينهما كما بين السماءِ والأرضِ، فإذا سألتمْ اللهَ فسلوه الفردوسَ، فإنه أوسطُ الجنةِ، وأعلىٰ الجنةِ، وفوقه عرشُ الرحمنِ، ومنه تفجَّرُ أنهارُ الجنة**» (رواه البخاري: ٧٤٢٣).

٦. وقد قال النبي ﷺ في وصف بنائها: «**لبِنةُ ذهبٍ ولبِنةُ فضَّةٍ ومِلاطُها المِسكُ وحصْباؤُها اللُّؤلؤُ والياقوتُ وتُرابُها الزَّعفرانُ من يدخُلُها ينعَمُ ولا ييأَسُ، ويخلُدُ لا يموتُ، لا تبلَىٰ ثيابُه، ولا يفنَىٰ شبابُه**» (رواه الترمذي: ٢٥٢٦).

٧. إنَّ أقل موضع فيها خير من الدنيا وما فيها، قال ﷺ: «**ولَقَابُ قَوْسِ أحَدِكُمْ، أو مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا**» (رواه البخاري:٦٥٦٧).

٨. قال ﷺ: «**قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَىٰ: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة:١٧]» (رواه البخاري:٤٧٧٩).

٩. الخلود فيها، قال ﷺ: «**يُنادِي مُنادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبَدًا، فَذلكَ قَوْلُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾** [الأعراف:٤٣]» (رواه مسلم:٢٨٣٧).

- **أعظم نعيم الجنة:**

ومن أعظم ما ينال أهل الجنة من النعيم أن يحلَّ الله تعالىٰ عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، قال ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعالَىٰ يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ؟ فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضَىٰ وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ، فيَقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالوا: يا رَبِّ، وأَيُّ شيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُم رِضْوانِي، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا**» (رواه البخاري:٦٥٤٩). وأعظم نعمة في الجنة علىٰ الإطلاق هي رؤية وجهه الكريم سبحانه وتعالىٰ، قال ﷺ: «**إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَىٰ: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فيَقولونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلىٰ رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ. وفي رواية: وزادَ ثُمَّ تَلا هذِه الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾**» (رواه مسلم:١٨١). وقد سأل الصحابة يومًا رسول الله ﷺ فقالوا:

يا رَسولَ اللَّهِ هلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يومَ القِيَامَةِ؟ قالَ: «**هلْ تُضَارُونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ والقَمَرِ إذَا كَانَتْ صَحْوًا؟** قُلْنَا: لَا، قالَ: **فإنَّكُمْ لا تُضَارُونَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يومَئذٍ، إلَّا كما تُضَارُونَ في رُؤْيَتِهِما**». (رواه البخاري:٧٤٣٩)، وتضارون أي: لا يَحجُب بعضُكم بعضًا عن الرؤية فيضرُّ به.

- **النار دار الكافرين:**

للنار عدة أسماء، منها: جهنم، قال تعالىٰ: ﴿**أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ**﴾ [آل عمران:١٦٢]، ومنها لظىٰ، قال تعالىٰ: ﴿**كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ [المعارج:١٥-١٧]، ومنها الحطمة، قال تعالىٰ: ﴿**كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ**﴾ [المعارج:١٥-١٧]، ومنها السعير، قال تعالىٰ: ﴿**وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ**﴾ [الملك:١١]، ومنها سقر، قال تعالىٰ: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ**﴾ [المدثر:٢٦-٢٨]، ومنها الجحيم، قال تعالىٰ: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ**﴾ [المائدة:١٠]، وغيرها كثير.

- **وصف النار:**

دلت الآيات والأحاديث الكثيرة علىٰ بعض أوصاف النار، وسنذكر هنا طرفًا منها:

١. عِظَم خَلْقها، قال ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بجَهَنَّمَ يومَئذٍ لها سَبْعُونَ ألْفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها**» (رواه مسلم:٢٨٤٢).

٢. شدة حرارتها، قال ﷺ: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِن سَبْعِينَ جُزْءًا مِن نَارِ جَهَنَّمَ، قيلَ يا رَسولَ اللَّهِ إنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قالَ: فُضِّلَتْ عليهنَّ بتِسْعَةٍ وسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**» (رواه البخاري:٣٢٦٥).

٣. للنار دركات بحسب أعمال أهلها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

٤. جعل الله تعالىٰ في أعناق أهلها الأغلال، قال تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر:٧١].

٥. وقودها الناس والحجارة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

٦. لها سبعة أبــواب، قـال تعالىٰ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤]، وفي الحديث: «**ولجهنَّم سبعةَ أبوابٍ**» (رواه ابن حبان:٤٦٦٣).

٧. طعامهم الشوك، وشرابهم الصديد، قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:٦-٧]، وقال تعالىٰ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ﴾ [إبراهيم:١٦-١٧].

٨. جسد الكافر في النار ضخم جدًّا، وكلما ضخُمت أجسادهم زاد عذابهم، قال ﷺ: «**ما بيْنَ مَنْكِبَي الكافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ للرَّاكِبِ المُسْرِعِ**» (رواه البخاري:٦٥٥١)، وقال ﷺ: «**ضِرْسُ الكافِرِ، أو نابُ الكافِرِ، مِثْلُ أُحُدٍ وغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ**» (رواه مسلم:٢٨٥١).

والآيات والأحاديث في وصف الجنة والنار كثيرة، نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من أهل الجنة وأن يعيذنا من النار.

- **الأعمال التي تدخل المؤمن الجنة وتقيه من النار:**

١. **الدعاء**؛ فيلهج المؤمن في كل وقت سائلًا الله ﷻ أنْ ينجيه من النار، قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة:٢٠١، ٢٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقال ﷺ: «**مَن سألَ اللَّهَ الجنَّةَ ثلاثَ مرَّاتٍ قالتِ الجنَّةُ: اللَّهمَّ أدخلهُ الجنَّةَ، ومن استجارَ من النارِ ثلاثَ مراتٍ قالت النارُ: اللَّهمَّ أَجِرْهُ من النارِ**» (رواه الترمذي:٢٥٧٢).

٢. **الأعمال الصالحة**؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس:٢٦]، وعن معاذ قال: كنتُ معَ النبيِّ ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقُلْت: يا رسولَ اللهِ أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «**لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك علىٰ أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجلُ من جوف الليل**»، قال: ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ حتىٰ بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾، ثم قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه**»، قُلْت: بلىٰ يا رسولَ اللهِ، قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه**

الجهاد». ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله**»، قُلْت: بلىٰ يا رسولَ اللهِ، قال: «**فأخذ بلسانه، قال: كف عليك هذا**». فقُلْت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا مُعاذ، وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم، أو علىٰ مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم**» (رواه الترمذي:٢٦١٦).

٣. **الاستغفار**؛ قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال:٣٣].

٤. **العلم وحلق الذكر**؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلىٰ حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا قالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وهو أعْلَمُ منهمْ، ما يقولُ عِبادِي؟ قالوا: يقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ قالَ: فيَقولُ: هلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فيَقولونَ: لا واللَّهِ ما رَأَوْكَ؟ قالَ: فيَقولُ: وكيفَ لو رَأَوْنِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا، وأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا قالَ: يقولُ: فَما يَسْأَلُونِي؟ قالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ عليها حِرْصًا، وأَشَدَّ لها طَلَبًا، وأَعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنْها فِرارًا، وأَشَدَّ لها مَخافَةً قالَ: فَيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قدْ غَفَرْتُ لهمْ، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فيهم فُلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ. قالَ: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَىٰ بهِمْ جَلِيسُهُمْ**» (رواه البخاري:٦٤٠٨).

٥. **خوف الله والدار الآخرة**؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، وقال ﷺ: «لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكَىٰ من خَشيَةِ اللهِ» (رواه الترمذي:٢٣١١).

٦. **الصدقة**؛ قال تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:١٧-٢١]، وقال ﷺ: «**يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فإنِّي أُرِيتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ**» (رواه البخاري:٣٠٤، ومسلم:٨٠).

٧. **طاعة الله ورسوله ﷺ**؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:١٧]، وقال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أَبَىٰ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَىٰ؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَىٰ**» (رواه البخاري:٧٢٨٠).

٨. **التقوىٰ**؛ قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣].

٩. **الابتعاد عن الكبائر**؛ قال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

والآيات والأحاديث التي تتناول هذه الأعمال كثيرة جدًّا، والخلاصة: أنَّ كل طاعة لله ورسوله هي من الأعمال التي تقربك إلىٰ الجنة، وتبعدك عن النار.

- **مظاهر رحمة الله في الآخرة:**

١. **مضاعفة الحسنات دون السيئات**، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [الأنعام:١٦٠]، فإنَّ العدل في الميزان البشري أنْ تكون الحسنة بمثلها، والسيئة بمثلها، ولكنَّ الله بمقتضىٰ رحمته يضاعف الحسنات عشرًا

بل وإلىٰ سبعمئة ضعف، ولا يجزي السيئة إلا بمثلها، بل زاد علىٰ ذلك وتفضل علىٰ من همَّ بحسنة فلم يعملها؛ بأنْ يكتب له حسنة، ومنْ همَّ بسيئة فلم يعملها خوفًا من الله؛ كَتَب له حسنة أيضًا!

٢. **أنَّه يعطي الأجور العظيمة بغير حساب،** قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

٣. **ثواب الصيام لا يعلمه أحد إلا الله،** قال ﷺ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصَّوْمَ، فإنَّه لي وأنا أجْزِي به**» (رواه البخاري:٥٩٢٧).

٤. **الشفاعة،** وقد مرت معنا وهي من أعظم نعم الله ﷻ علىٰ عباده يوم القيامة.

٥. **يرفع درجة الأدنىٰ من الآباء والأهل والأبناء إلىٰ درجة الأعلىٰ في الجنة،** من غير تنقيص لذلك الأعلىٰ عن درجته، بل امتنانًا من الله وإحسانًا، قال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

٦. **آخر من يدخل الجنة،** قال ﷺ: «**إنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْها، وآخِرَ أهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فيَقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَىٰ له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيها فيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّها مَلْأَىٰ، فَيَرْجِعُ فيَقولُ: يا رَبِّ، وجَدْتُها مَلْأَىٰ، فيَقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَىٰ له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، قالَ: فَيَأْتِيها، فيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّها مَلْأَىٰ، فَيَرْجِعُ فيَقولُ: يا رَبِّ، وجَدْتُها مَلْأَىٰ، فيَقولُ اللَّهُ له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فإنَّ لكَ مِثْلَ الدُّنْيا وعَشَرَةَ أمْثالِها، أو إنَّ لكَ عَشَرَةَ أمْثالِ الدُّنْيا، قالَ: فيَقولُ: أتَسْخَرُ بي، أو أتَضْحَكُ بي، وأَنْتَ المَلِكُ؟ قالَ: لقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حتَّىٰ بَدَتْ نَواجِذُهُ. قالَ: فَكانَ يُقالُ: ذاكَ أدْنَىٰ أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً**» (رواه البخاري:٦٥٧١، ومسلم:١٨٦).

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

إنَّ من أهم ثمرات الإيمان باليوم الآخر: زيادة الإيمان بالله تعالىٰ، والإيمان بكمال عدله وقدرته وحكمته، إذ خلق الله الآخرة ليفصل فيها بين الناس، فيجازي المحسن علىٰ إحسانه ويدخله الجنة، ويجازي المسيء علىٰ إساءته ويدخله النار. إنَّ الإيمان بهذا اليوم الآخر يعين علىٰ الاجتهاد في كثرة العمل الصالح والثبات عليه، والخوف من الله والابتعاد عن المعاصي والمخالفات وملازمة التوبة النصوح، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨]، فالمسلم إذا آمن بحق أنَّ الله تعالىٰ سيبعث الخلق بعد موتهم ويحاسبهم ويجازيهم علىٰ أعمالهم؛ استقام وانقطع شره وبذل خيره لنفسه ولأهله ومجتمعه. إنَّ الإيمان بوجود يوم يفصل الله فيه بين الناس؛ يورث تسلية للمؤمن عما يفوته في الدنيا، مؤملًا حسن العاقبة وجزيل المثوبة في الآخرة. إنَّ الإيمان باليوم الآخر مما يعين علىٰ الأخذ بأسباب الثبات عند الفتنة وما يترتب عليها، من الإخلاص لله في التوحيد، والاستقامة علىٰ الشريعة، والاتباع للنبي ﷺ. إنَّ الإيمان باليوم الآخر أمان نفسي للمظلوم الذي سُلب حقُّه، إذا أيقن بأنَّ الحساب لن يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا قضاها، ففي هذا اليوم سيظهر كمال عدل الله سبحانه، وتقوم فيه الموازين بالقسط، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء:٤٧]، وإنه معينٌ علىٰ الإيمان ببقية الأركان، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام:٩٢]. إنَّ الإيمان باليوم الآخر يعين علىٰ الانتفاع بهدايات القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]

مراجع للاستزادة:

١. الإيمان باليوم الآخر، د. محمد بن إبراهيم الحمد.

٢. اليوم الآخر، القيامة الصغرىٰ، د. عمر الأشقر.

٣. اليوم الآخر، القيامة الكبرىٰ، د. عمر الأشقر.

٤. اليوم الآخر، الجنة والنار، د. عمر الأشقر.

٥. أشراط الساعة، يوسف الوابل.

٦. القبر عذابه ونعيمه، حسين العوايشة.

٧. الإيمان بما بعد الموت (مسائل ودلائل)، أحمد النجار.

٨. الحياة الآخرة ما بين البعث إلىٰ دخول الجنة أو النار، د. غالب عواجي.

٩. اليوم الآخر في القرآن الكريم والسنة النبوية، د. عبد المحسن المطيري.

١٠. أسباب دخول الجنة، ندا أبو أحمد.

١١. معالم الرحمة في عقيدة الإيمان باليوم الآخر، د. عبد السلام يوسف.

الركن السادس

الإيمان بالقدر

القدر: هو قدرة الله وتقديره، والإيمان بالقدر خيره وشره: هو الإيمان بأنَّ الله قدَّر كل شيء أزلًا، وأنَّه لا يكون شيء إلا وقد علمه وشاءه وخلقه وكتبه قبل أنْ يكون، وهذا هو الإيمان الذي يجب علىٰ كل مؤمن أنْ يؤمن به، ويجب عليه أنْ يؤمن أيضًا بكل ما بلغه من تفاصيل هذا الركن الواردة في القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

العلاقة بين الإيمان بالله تعالى والإيمان بالقدر:

إنَّ الإيمان بالقدر تصديق بالإيمان بالله تعالىٰ، فمن يؤمن بكمال قدرة الله تعالىٰ وعلمه وحكمته ومشيئته ولطفه؛ فإنه يؤمن بأنَّ الله تعالىٰ قد أحاط بكل شيء علمًا، وأنَّه خلق كل شيء وأحسن خَلْقَه وتقديره، وإذا آمن بأنَّ الله له تمام الملك والحكمة؛ فإنَّه يَعْلَم أنَّ الله لا يقدر شيئًا عبثًا مهما خفيتْ عليه الحكمة منه، وأنَّه سبحانه لا يظلم أحدًا، لأنه يُقَدِّر المقادير بعدل، وإذا آمن أنَّ الله ليس كمثله شيء؛ فإنَّه لا يمكن أنْ يطبق مقاييس الخلق علىٰ الخالق، فالله خالق الخلق ومالكه، يدبِّر خَلْقَه وعباده كيف شاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

أدلة الإيمان بالقدر:

١. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

٢. قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٢، ٥٣].

٣. قال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان:٢].

٤. ما ورد في حديث جبريل الطويل عندما سأل النبي ﷺ فقال: «**فأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ، قالَ: أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**» (رواه البخاري:٥٠، ومسلم:١٠).

٥. ما علَّمه النبي ﷺ لابن عباس، إذ قال: «**يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا علىٰ أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ**» (رواه الترمذي:٢٥١٦).

- **ويشمل الإيمان بالقدر أمورًا، هي:**

١. الإيمان بأنَّ الله علم بكل شيء جملة وتفصيلًا، وأنه قد أحاط بكلِّ شيء علمًا، وعلمه غير مسبوق بجهل، ولا يعرض له نسيان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [العنكبوت:٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق:١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

٢. الإيمان بأنَّ الله قد كتب هذا في اللوح المحفوظ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج:٧٠]، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨]، قال ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**» (رواه مسلم:٢٦٥٣)، وقال ﷺ: «**إن أوَّل ما خَلَقَ اللهُ القلمَ، فقال له: اكتُبْ. فجَرَىٰ بما هو كائنٌ إلىٰ الأبَدِ**» (رواه الترمذي:٣٣١٩).

٣. الإيمان بأنَّه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله تعالىٰ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧].

٤. الإيمان بأنَّ الله خالق كل شيء، فهو خالق الخلق وجميع أعمالهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [غافر:٦٢].

- **مراتب التقدير الإلهي**: مراتب التقدير أربع، وهي:

١. **التقدير العام**، ويسمَّىٰ بالتقدير الأزلي، وهو ما يُقدِّره الله تعالىٰ لجميع المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وإن النبي ﷺ قال: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**» (رواه مسلم:٢٦٥٣).

٢. **التقدير العمري**، وهو ما يقدره الله تعالىٰ من رزق الإنسان وعمله وسعادته وشقاوته وأجله، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ**

يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ويُقَالُ له: اكْتُبْ عَمَلَهُ، ورِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ، فإنَّ الرَّجُلَ مِنكُم لَيَعْمَلُ حتَّىٰ ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَ الجَنَّةِ إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، ويَعْمَلُ حتَّىٰ ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَ النَّارِ إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ» (رواه البخاري:٣٢٠٨).

٣. **التقدير السنوي**، وهو ما يقدِّره الله تعالىٰ في ليلة القدر من كلِّ سنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان:٣-٥].

٤. **التقدير اليومي**، وهو ما يقدِّره الله ويجريه في ذلك اليوم، قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

ولا يشغله سبحانه في ذلك شأنٌ عن شأن، فتبارك الله رب العالمين، وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل للتقدير السابق له، وفي ذلك دليل علىٰ كمال علم الرب وقدرته وحكمته، وهذه التقديرات كلها قبل وقوع العمل، أما الكتابة بعد وقوع العمل من الإنسان فهي التي تكتبها الملائكة، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وقال تعالىٰ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢].

- **الإيمان بالقدر يستلزم العمل:**

إنَّ الله تعالىٰ بعلمه وقدرته ومشيئته وخلقه وقوته قد جعل للمقاصد أسبابًا ووسائل تحققها، وهذا مما يشهد له العقل والشرع والفطرة السليمة، فأمور الدنيا والدين قد بُنيت علىٰ بذل الأسباب الشرعية والمادية اللازمة لها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥]، وقال ﷺ: «**اعملوا، فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له**» (رواه البخاري:٤٩٤٩، ومسلم:٢٦٤٧). وقال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ،**

خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلىٰ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ علَىٰ ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلا تَعْجَزْ، وإِنْ أَصابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإِنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (رواه مسلم: ٢٦٦٤)، فلا يصح عقلًا ولا يستقيم شرعًا أنْ يحتجَّ أحد بالقدر علىٰ فعل فعله باختياره، بل يجب عليه أنْ يعمل ويجتهد في بذل وسعه لتحصيل مصالحه الدينية والدنيوية.

- **مسائل في القضاء والقدر**: إنَّ من أهم المسائل التي ينبغي لنا معرفتها في باب القدر، ثلاث مسائل:

- **المسألة الأولىٰ؛ مسألة الإرادة الإلهية:**

إذا آمن المسلم بأنَّ الله قد شاء كل ما قدَّره علىٰ خلقه، فإنَّ بعضهم قد يستشكل ذلك، إذ كيف يقدر الله وقوع الكفر والمعاصي، مع أنَّه لو شاء ما كفر أحد ولا عصىٰ، وهذا هو ما احتج به كفار قريش علىٰ النبي ﷺ كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وليس في هذا حجة لهم، ولتوضيح هذا ينبغي أنْ نعلم أنَّ الإرادة الإلهية عند أهل السنة تنقسم إلىٰ نوعين:

١. **إرادة قدرية**، وهي الإرادة الشاملة لجميع المخلوقات، وهي التي يقال فيها: ما شاء الله تعالىٰ كان، وما لم يشأ لم يكُن، وهذه الإرادة إرادة شاملة لا يخرج عنها أحد من الخلق، فكل ما يحدث في الكون داخل في إرادة الله تعالىٰ هذه، ويدخل فيها كل ما يفعله المؤمن والكافر والبر والفاجر. وهذه الإرادة متعلقة بفعله سبحانه في الخلق والإيجاد، فالمراد بها لا بد أنْ يقع، وهذا المراد قد يكون محبوبًا لله تعالىٰ، وقد لا يكون محبوبًا، ومِنْ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود:٣٤].

٢. **إرادة شرعية**، وهذه الإرادة تتناول جميع الطاعات، وهي متعلقة بأفعال العباد الصالحة، فقد تقع وقد لا تقع، وهي محبوبة لله تعالىٰ، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وللمخلوقات مع هاتين الإرادتين ثلاثة أقسام:

١. ما تعلقت به الإرادة الشرعية والقدرية، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإنَّ الله تعالىٰ أرادها إرادة شرعية وأمر بها ورضيها، وأرادها إرادة قدرية فوقعت.

٢. ما تعلقت به الإرادة الشرعية فقط، وهو ما أمر الله تعالىٰ به من الأعمال الصالحة، فخالف في ذلك الكفار والعصاة، فهذه إرادة شرعية، وهو يحبها ويرضاها وقعت أم لم تقع.

٣. ما تعلقت به الإرادة القدرية فقط، وهو ما قدَّره الله تعالىٰ من الحوادث التي لم يأمر بها ولا يحبها كالمعاصي، فالله لا يأمر بالفحشاء ولا يرضىٰ لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما وجدت.

- **المسألة الثانية؛ مسألة وجود الشر:**

إذا آمنا بأنَّ الله متصف بكمال الرحمة والقدرة والعدل، فقد يستشكل بعضهم وجود الشر في هذا العالم، ويسأل عن سبب خلق الشر وتقديره، ويمكن الجواب عن هذا السؤال عن طريق عدة مقدمات، وهي:

- **المقدمة الأولىٰ: الكمال في صفات الله تعالىٰ**؛ إنَّ سوء التصور لمعنىٰ الكمال الإلهي هو السبب المباشر لاعتبار وجود الشر مشكلة، فالله تعالىٰ

كامل العلم، وكامل الرحمة، وكامل القدرة؛ هو نفسه كامل الحكمة، وكامل العدل، وكامل الإرادة، وهكذا، فكمال الله تعالىٰ لا يمكن أن يحيط به أحد. وكلما ازداد الإنسان علمًا بربه وعلمًا بحقائق الأمور؛ أدرك عظيم حكمة الله تعالىٰ وكمال عدله ورحمته.

- **المقدمة الثانية: قصور العقل البشري؛** فعقل الإنسان محدود، ومن هنا كانت الحاجة الإنسانية مستمرة للاسترشاد بهداية خارجية عنها، والمتمثلة بالوحي الإلهي. وبما أنَّ العقل مُقِرٌّ لزومًا أنَّ الكمال المطلق هو لله سبحانه وتعالىٰ؛ أوجبت هذه المعرفة تسليمًا كاملًا لله ولحكمته، فكل مسألة جزئية خفيت عليه حكمتها، فيجب عليه أنْ يُرجعها للأصل الكلي القطعي: وهو أنَّ الله تعالىٰ متصف بكمال الحكمة والعلم والرحمة.

- **المقدمة الثالثة: الصورة الكلية؛** فالواقع يخبرنا أنَّ الشر الواقع في هذا العالم متضمن لخير كثير، فلا يوجد شر إلا ومعه خير كثير عَلِمَه من عَلِمَه وجهله من جهله، ولو تركنا هذا الخير الكثير بسبب الشر القليل الذي معه لنتج عندنا شر كثير، ومن تأمل العالم بتجرد وجد أنَّ الخير كثير جدًّا. فالذين يشكُّون في وجود العناية الإلهية إنَّما وقفوا عند حوادث جزئية تبدو للناظر بمفردها شرورًا محضة، ولو اتسعت النظرة بشكل أعلىٰ وارتفع الإنسان برؤيته للصورة الكلية، فإنَّه سيرىٰ العالم بجملته يغلب عليه الخير.

- **المقدمة الرابعة: حرية الإرادة؛** فمن الممتنع عقلًا أنْ نقول: إنَّ الإنسان حرٌّ إذا كان مجبولًا علىٰ فعل الخير فقط، فالخير هنا يفقد قيمته إذا كان جبرًا لا اختيارًا، ولا يمكن أنْ يكون الإنسان حرًّا وهو لا يفعل إلا الخير دائمًا، فوجود الشر الإنساني أمر ضروري عقلًا وشرعًا وقَدَرًا بحكم امتلاك الإنسان لحرية الاختيار.

- **المقدمة الخامسة: امتناع عالم امتحان وابتلاء بلا شر؛** قد يعترض أحدهم بأنَّ الله تعالىٰ قادر علىٰ خلق عالم امتحان وابتلاء بلا شر، ولكنَّ هذا ممتنع عقلًا وشرعًا وقدرًا، فكيف يتصور وجود صفة الصبر، والإيثار، والعفو، والمسامحة، والصفح، والإحسان، وغيرها من الصفات التي تتطلب وجود نوع من البلاء. فالمطالبة بعالم يحقق الحكمة والغاية من الخلق ويكون بلا شر، هي مطالبة بعالم يخلو من الغاية التي خُلق لها. إنَّ الخير لا يكسب معناه إلا بمعرفة ما يضاده وهو الشر، ولا يمكن أنْ يكون الشر شرًّا إلا بوجود الخير، فالدنيا بلا شر هي عالم يخالف الغاية والحكمة من الخلق والإيجاد، وهي الابتلاء والاختبار والأمر بالصبر عليهما.

- **المقدمة السادسة: النعيم لا يدرك بالنعيم؛** إنَّ غاية الخلق هي تعبيد الناس لرب العالمين، وهذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار، والابتلاء من لوازم هذه الغاية التي قصدها الخالق، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، فالصبر علىٰ الابتلاء مطلب شرعي ومقصد إلهي، ولذلك كانت سنة الله تعالىٰ أنَّ النعيم الأخروي لا يدرك بالنعيم الدنيوي.

وبعد استحضار هذه المقدمات، يمكن أنْ نذكر بعض الحِكَم من وجود الشر؛ إذ هناك حِكَم يمكن معرفتها واستنباطها من الآيات والأحاديث والتاريخ، ومنها:

- أنَّ الدنيا دار عملٍ وابتلاء، قال تعالىٰ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء:٣٥]، ومن هذا الابتلاء وجود الشر الذي به يحقق المؤمن عبادة الصبر والرضا، وحسن الظن بالله، والتوبة والاستغفار والندم، والدعاء والتضرع، وكل هذا يحقق تكفير الذنوب ورفع الدرجات.

- أنَّ من مقتضيات ولوازم أسماء الله تعالىٰ وصفاته، وجود الخير والشر، فمن لوازم اسم الغني الرزاق؛ وجود الفقير المحتاج، ومن لوازم اسم التواب؛ وجود المذنبين الذين يتوبون، ومن لوازم كونه سبحانه المنتقم الجبار؛ وجود الظالمين الذين ينتقم منهم. وهكذا فكل اسم تجد أن له مقتضيات في خلقه لا بد من ظهورها ووجودها!

- أنَّ الخير الخالي من الابتلاء يُطغي صاحبه، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧]، فيأتي الشر ليُذكره ويؤطره.

- أنَّ الله تعالىٰ يدفع بالشر القليل شرًّا أكبر منه؛ كما حصل في خرق الخضر للسفينة، وقتله الغلام، وما أكثر الشواهد علىٰ ذلك.

- أن ينتقم الله تعالىٰ من الظالمين فيسلط بعضهم علىٰ بعض.

- أنْ يُعرف المؤمن الصابر من غيره عن طريق الابتلاء، ليزدادوا رفعة وأجورًا.

- أنَّ من لوازم وجود الجنة والنار، وجود الخير والشر والحق والباطل، إذ يدخل كل فريق إلىٰ ما يستحقه بحسب أعمالهم في الدنيا.

- هذه بعض الحِكَم من وجود الشر، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٦].

وإذا تبيَّن هذا علِمْنا أنَّ خلق الشر في هذا العالم لازم عقلًا وشرعًا وقدرًا، وأنَّ وجوده كان لحكمة ظاهرة مقدَّرة، وإذا خفيت هذه الحِكَم في بعض أحداثها علىٰ المؤمن؛ فإنَّ عليه أنْ يركن إلىٰ خمسة أصول:

- **الأصل الأول**: أنْ يوقن بكمال علم الله تعالىٰ، وأنَّه قد أحاط بكل شيء علمًا.

- **الأصل الثاني**: أنْ يوقن بكمال حكمة الله تعالىٰ، وأنَّه متفرد بكمال الحكمة وعظمة التقدير.
- **الأصل الثالث**: أنْ يوقن بكمال عدل الله تعالىٰ، وأنَّه لا يظلم أحدًا من خلقه مثقال ذرة.
- **الأصل الرابع**: أنْ يعلم أنَّ الله تعالىٰ ربط الأسباب بمسبباتها شرعًا وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الشرعي والكوني، فالوجود كله أسباب ومسببات والقدر جارٍ عليها متصرف فيها.
- **الأصل الخامس**: أنْ يعلم أنَّ عقل الإنسان قاصر، وجهده ناقص، وأنْ يرد كل جهل في تحصيل الحكمة إلىٰ نفسه، ولا يجعل عقله حاكمًا علىٰ أقدار الله تعالىٰ وسنته في خلقه.

والمسلم إذا اعتمد هذه الأصول فقد أوىٰ إلىٰ ركن شديد يحميه من مشكلات الحوادث، ومن نوازل الفتن، ويجعله مطمئن النفس مرتاح الجنان.

- **المسألة الثالثة؛ حرية الاختيار:**

إذا آمنا بأنَّ الله كتب مقادير الخلق قبل خلقهم، فقد يشكل علىٰ بعضهم كيف يكون الإنسان مختارًا في أفعاله وتصرفاته واختياراته، وهي مكتوبة عليه قبل أنْ يخلق؟!

ويمكن الجواب فيقال: إنَّ منطلق الإشكال يبدأ في تطبيق مقاييس البشر علىٰ القضاء والقدر، فتبدأ السؤالات عن سر الله تعالىٰ في خلقه، والواجب علىٰ المسلم أنْ يوقن أنَّ كل ما يجري في هذه الدنيا هو بقضاء الله تعالىٰ وقدره، قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**» (رواه مسلم:٢٦٥٣). فكل ما يعمله الإنسان أو يحصل له فهو مقدر قبل أنْ يخلق.

ومع ذلك فقد جعل الله تعالىٰ للعبد اختيارًا ومشيئة وإرادة يرجح بها، قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، وهما طريقا الخير والشر، فالهداية هنا هداية دلالة وإرشاد، وليست هداية تسيير وإجبار، بل هو حر في إرادته بين أنْ يختار طريق الخير أو الشر، وعلىٰ أساس هذا الاختيار يحاسب يوم القيامة.

فالإرادة والاختيار من أسباب التكليف، فالإكراه يُخرِج الإنسان من تبعات فعله، فلا يؤاخذ به إنْ كان شرًّا، ولا يجازىٰ عليه إنْ كان خيرًا، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، فهنا نفىٰ المؤاخذة عمَّن فعل الكفر مكرهًا، وقال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٦٥]، إذ إنَّ من دخل للدين مُكرهًا لن ينفعه عمله ذلك، فالاختيار أساس التكليف، بيد أنَّ هذه الإرادة والمشيئة لا تخرج عن إرادة الله تعالىٰ ومشيئته وتقديره، فعلم الله تعالىٰ الكامل قد أحاط بكل شيء علمًا.

ولا يقال إنَّ الإنسان مسير أو مخير بالإطلاق، بل هو مخير ومسير، وميسر لما خُلق له، أما كونه مخيرًا فلأنَّ الله تعالىٰ أعطاه عقلًا وإرادة، فيختار لنفسه ما يشاء من طريق الخير والشر، وهو مسيَّر في أشياء مثل جنسه وخلقته ونسبه ومكان نشأته، وغيرها من الأمور التي لا اختيار له فيها.

وقد رد النبي ﷺ علىٰ الصحابي عندما سأله: **يا رَسُولَ اللهِ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيما العَمَلُ اليَومَ؟ أَفِيما جَفَّتْ به الأقْلَامُ، وَجَرَتْ به المَقَادِيرُ، أَمْ فِيما نَسْتَقْبِلُ؟ قالَ:** «**لا، بَلْ فِيما جَفَّتْ به الأقْلَامُ وَجَرَتْ به المَقَادِيرُ**»، **قالَ: فَفِيمَ العَمَلُ؟ فَقالَ:** «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**» (رواه مسلم:٢٦٤٨)، والحديث نص علىٰ العمل والاجتهاد، ونهىٰ عن الاتكال علىٰ ما جرت به المقادير.

وكل إنسان يعرف الفرق بين ما يفعله مختارًا، وبين ما يقع منه بغير اختيار، واليقين النفسي لا يزول بالشك العقلي. والجزاء في الآخرة يكون علىٰ الأعمال

الاختيارية فقط، قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]. **فالعبد مسير بقدر الله تعالىٰ لكن له اختيار ومشيئة وإرادة يرجح بها، وقدرة يوقع بها عمله،** فيجازىٰ علىٰ عمله الطيب، ويستحق العقاب علىٰ عمله الرديء إلا أنْ يعفو الله تعالىٰ.

وبما أنَّ الإنسان لا يدري ما قُدِّر له إلا بعد أنْ يقع، فيجب عليه أنْ يلتزم الشرع، وأنْ يتقيَّد بالأمر والنهي، وأنْ يستعين بالله تعالىٰ علىٰ كل ذلك، ولا ينظر إلىٰ القدر نظر من يحتج به علىٰ ترك الأوامر وفعل المحرمات.

والخلاصة أنَّ الإنسان يفعل باختياره بلا شك؛ لكن إذا فعل الفعل فيجب عليه أن يؤمن بأنَّ هذا الفعل مقدَّر عليه فعله قبل أنْ يفعله؛ لكنه لم يعلم أنَّه مقدَّر إلا بعد وقوعه. ونحن نرىٰ الإنسان إذا وقع عليه شيء يكرهه حاول التخلص منه، وإذا خاف من شيء حاول الهرب منه، وإذا اعتدىٰ عليه شخص ردَّ عليه اعتداءه، ولا يتعلل بأنَّ هذا مقدَّرٌ ومكتوب، وهذا يعني أنَّه مؤمن بأنَّ له إرادةً، ويفعل ما يشاء باختياره.

إنَّ القدر سر الله تعالىٰ في خلقه، وقد أخفىٰ الله تعالىٰ سرَّه ليبتلي العباد ويمتحن إيمانهم، ونهاهم عن التعمُّق فيه، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

من ثمرات الإيمان بالقدر:

إنَّ من أهم ثمرات الإيمان بالقدر: زيادة الإيمان بالله تعالىٰ، والإيمان بكمال علمه وخلقه وقدرته وحكمته، وهذا الإيمان يثمر الاعتماد الكامل علىٰ الله تعالىٰ عند فعل الأسباب، والأمان النفسي تجاه ما يجري من الأقدار، فالمؤمن لا يقلق ولا يغضب ولا يحزن لفوات أمر أو حصول آخر، لأنه يعلم أنَّ ذلك كله بقدر الله تعالىٰ الذي له مقاليد السماوات والأرض. قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]. إنَّ الإيمان بالقضاء والقدر بشكله الصحيح خير معين علىٰ مواجهة أمراض العصر الحديث كالقلق والتوتر والاكتئاب. إنَّ الإيمان بكمال علم الله وقدرته وخلقه وحكمته يحفظ الإنسان من الطغيان عند نجاحه وحصول مراده، لعلمه أنَّ كل شيء بقدر من الله تعالىٰ، إذ رتب المسببات علىٰ أسبابها. إنَّ الإيمان بالقدر يحقق عددًا من العبادات القلبية، مثل: الإخلاص لله، والتوكل عليه، والخوف والرجاء وإحسان الظن به، والصبر والرضا، والتواضع والقناعة وعزة النفس، والاعتدال، والسلامة من الحسد وطمأنينة القلب، بل ويعين علىٰ مواجهة الشدائد في هذا الزمن الصعب، الذي لا يحدث فيه شيء إلا وفيه خير للمؤمن، وليس هذا إلا للمؤمن فقط. وتأمل هذه الآيات التي تحقق لك فعلًا الأمان النفسي والسكينة، قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧]،وقال تعالىٰ: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

مراجع للاستزادة:

١. القضاء والقدر، د. عمر الأشقر.

٢. الإيمان بالقضاء والقدر، د. محمد بن إبراهيم الحمد.

٣. قواعد أهل الأثر في الإيمان بالقدر، أحمد النجار.

٤. مباحث الربوبية والقدر، د. عيسىٰ السعدي.

٥. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، د. عبد الرحمن المحمود.

٦. رسالة في القضاء والقدر، محمد العثيمين.

٧. السكينة والاطمئنان في آيات من القرآن، د. عبد السميع الأنيس.

آثار الإيمان بالأركان الستة

إنَّ العبد إذا آمن بهذه الأركان الستة، ورَسَخ الإيمان الصادق بها في قلبه، فإنَّه سيرىٰ العديد من الآثار العظيمة علىٰ شخصيته وسلوكه، ومستقبله وحياته، ومن هذه الآثار ما يأتي:

١. **أنَّ الإيمان بهذه الأركان الستة يكوِّن للإنسان إطارًا مفاهيميًّا يُمَكِّنُه من فهم العالم، وأنْ يجيب به عن الأسئلة الكبرىٰ، وأنْ يجد معنىٰ للحياة، ويبني المعايير التي يميز بها الصواب من الخطأ، ويجيب عن أهم الإشكالات التي يفرضها علينا نموذج الحياة الحديثة.**

٢. التأكد من وجود مرجعيَّة كاملة تحقق لمن آمن بها العدالة المطلقة، وأنَّ كل ما يجري في هذه الحياة علىٰ المؤمن فإنه سيؤول إلىٰ خير في اليوم الآخر، اليوم الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، ويُنبئهم بما عملوا، فحينئذٍ يظهر الفرق والتفاوت بين الخلائق، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩].

٣. أنَّ المقاصد الأساسية لهذه الأركان الستة تتمحور حول ثلاثة مقاصد: الأول: إثبات التوحيد، والثاني: إثبات النبوات، والثالث: إثبات المعاد، ومعرفة هذه المقاصد هي مدار السعادة والفلاح للعبد في الدارين. ومما يدل علىٰ هذا أنَّ رجُلًا مِن الأنصار جاء بأمَةٍ سوداء، وقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ عليَّ رقبةً مؤمِنةً، فإن كنتَ تَرىٰ هذه مؤمِنةً، أعتَقْتُها، فقال لها رسولُ اللهِ ﷺ: «**أتَشهَدِينَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ؟**»، قالت: نَعمْ، قال: «**أتَشهَدِينَ أنِّي رسولُ اللهِ؟**»، قالت: نَعمْ، قال: «**أتؤمِنِينَ بالبَعْثِ بعد الموتِ؟**»، قالت: نَعمْ، قال: أعتِقْها (رواه أحمد: ١٥٧٤٣).

٤. **الرغبة في الله تعالىٰ**؛ فكلما ازداد إيمان العبد ازدادت ثقته بالله تعالىٰ وبأنَّه مالك الملك، المتصرف في كل شيء. قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٦].

٥. **المبادرة والمسارعة لفعل الخير**؛ إذ تجد المؤمن حقًّا يبادر ويسارع ويسابق لفعل الخيرات، قال تعالىٰ: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ**﴾ [المؤمنون:٦١]، وقال النبي ﷺ: «**مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» (رواه البخاري:٦٤٧٥).

٦. تقوية الوازع الداخلي؛ فكلما قوي الإيمان ازداد حذر المؤمن من الشبهات والمحرمات. فمن آمن أنَّه في يوم القيامة سوف ﴿**يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ** أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٦-٨]، وأنَّ الحساب سيكون حتىٰ علىٰ اليسير من العمل؛ فإنه سيمنعه ذلك عن كثير من المحرمات. يقول النبي ﷺ: «**مَن خاف أَدْلَجَ، ومن أَدْلَجَ بلغ المنزلَ، ألَا إن سِلْعَةَ اللهِ غاليةٌ، ألَا إن سِلْعَةَ اللهِ الجنةُ**» (رواه الترمذي:٢٤٥٠).

٧. **إيثار الآخرة علىٰ الدنيا**، فالإيمان الحقيقي يجعل المؤمن زاهد القلب، وهذا الزهد لا يستلزم الفقر، ولا يتنافىٰ مع الغنىٰ، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٞ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ:١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ** ۝٣٣ **وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ** ۝٣٤ **وَزُخْرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

٨. **التأييد الإلهي**؛ وقد وعد الله تعالىٰ المؤمنين في الدنيا بوعود كثيرة، منها: النصر علىٰ أعدائهم، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، والدفاع عنهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]، والولاية لهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢٥٧]، والهداية لهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٤]، والرزق الطيب، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، والعزة، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، والجنة في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [لقمان:٨-٩].

٩. **إحياء روح الحزم والعزم**؛ عندما يتمكن الإيمان من القلب تزداد رغبة العبد في القيام بكل ما يحبه الله ويرضاه، فتجده يتحدىٰ الصعاب، ويتحمَّل الشدائد في سبيل ذلك، قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

١٠. **اختفاء الظواهر السلبية وقلة المشكلات بين الأفراد والمجتمعات**، فالمجتمعات الآمنة هي التي يتحقق في مجموع أفرادها الإيمان الصحيح، قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، فيكثر التأثير الإيجابي في الناس عن طريق الدعوة والقول الحسن، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، وقال ﷺ: «**أَكْملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خلقًا**» (رواه الترمذي:١١٦٢).

١١. **الشعور بالسكينة والطمأنينة**، فالإيمان بالله تعالىٰ القادر علىٰ كل شيء، يُورِث الثقة والاطمئنان، قال تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٣، ١٧٤].

١٢. **زيادة الهداية والتوفيق من الله**، قال تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ [مريم:٧٦].

شعب الإيمان:

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أنَّ الإيمان مركب من شعب، وأنَّ هذه الشعب تتفاوت وتتفاضل، قال النبي ﷺ: «**الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أو بضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ**» (رواه مسلم:٣٥)، وإذا كان الإيمان مشتملًا علىٰ شعب متعددة، ومتفاوتة، وكل شعبة منه تسمىٰ إيمانًا، فالصلاة وسائر أعمال الجوارح من الإيمان، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والرجاء من الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها،كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذىٰ عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذىٰ، ويكون إليها أقرب. وكل ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو داخل في شعب الإيمان.

وسائل زيادة الإيمان

إنَّ من نعم الله علىٰ العبد المؤمن أنْ جعل إيمانه يزيد بالطاعة، وهيَّأ له الأسباب التي تمكنه من زيادته، وإنَّ العبد المؤمن يتطلع دائمًا لزيادة الإيمان وتجديده، وتحصيل الفضائل العظيمة المترتبة عليه، قال النبي ﷺ: «إنَّ الإيمانَ ليخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يخلَقُ الثَّوبُ فسَلُوا اللهَ تعالىٰ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم» (رواه الطبراني في المعجم الكبير:٨٤)، ومن الوسائل المعينة علىٰ زيادة الإيمان ما يأتي:

١. **طلب العلم النافع**؛ قال النبي ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**» (رواه البخاري:٧١، ومسلم:١٠٣٧).

٢. **التعبد**؛ وأهم ما يتقرب به العبد أداء الفرائض ثم النوافل، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَىٰ لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّىٰ أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ**» (رواه البخاري:٦٥٠٢).

٣. **الذكر وقراءة القرآن بتدبر** -وهو من التعبد إلا أننا أفردناه لأهميته-، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، وأعظم الذكر قراءة القرآن؛ قال رسول الله ﷺ: «**القرآنُ شافعٌ ومشفَّعٌ وماحِلٌ مصدَّقٌ من جعله أمامَه قاده إلىٰ الجنةِ ومن جعله خلفَه ساقه إلىٰ النارِ**» (رواه ابن حبان:١٢٤). وماحل مصدق أي: شاهدٌ مصدَّقٌ عند الله تعالىٰ.

٤. **الصحبة الصالحة**؛ قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ، لا يَعْدَمُكَ مِن صاحِبِ المِسْكِ إمَّا تَشْتَرِيهِ، أو تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أو ثَوْبَكَ، أو تَجِدُ منه رِيحًا خَبِيثَةً**» (رواه البخاري:٢١٠١، ومسلم:٢٦٢٨).

٥. **التذكير والموعظة الحسنة**؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة:٢٣٢]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]، فالأمر بالمعروف يبقي الخير ويجلبه، والنهي عن المنكر يدفع الشر ويرفعه.

٦. **المحاسبة للنفس والاجتهاد في تحقيق التقوىٰ**؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

٧. **الاستعانة بالله تعالىٰ والدعاء**؛ قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٥-٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال الرسول ﷺ:

«**إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ يستحيي إذا رفع الرجلُ إليه يدَيه أن يردَّهما صِفرًا خائبتَينِ**» (رواه الترمذي:٣٥٥٦)، والإكثار من سؤال الله تعالىٰ أن يجدد الإيمان في القلب، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الإيمانَ ليخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يخلَقُ الثَّوبُ فسَلُوا اللهَ تعالىٰ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم**» (رواه الهيثمي:١/٥٧).

٨. **التفكر والتأمل**؛ قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

٩. **تذكر الموت والدار الآخرة**؛ قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقال ﷺ: «**أكثِرُوا ذكرَ هادِمِ اللذَّاتِ**» (رواه الترمذي:٢٣٠٧).

١٠. **قراءة سير الصالحين**، من الأنبياء والصحابة والتابعين ومن بعدهم، قال تعالىٰ: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

١١. **مداومة الاستغفار والتوبة**؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ [هود:٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان:٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

١٢. عدم الاستماع لحديث المتشككين أو الجلوس معهم؛ ويستوي في هذا الجلوس الحقيقي الواقعي والجلوس الافتراضي عن طريق التلفاز، أو الإنترنت، أو الكتاب، قال تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]. فيجب علىٰ المسلم أنْ يبتعد عن مواطن الشبهات، وهذا أصل عظيم في حفظ إيمان المرء وسلامة دينه وقلبه، فكثرة الاستماع للباطل تؤثر في الإيمان.

١٣. مداومة إرادة الخير؛ فإنَّ من أراد فعل الخير بصدق آتاه الله أجره كاملًا وإنْ لم يعمل، قال ﷺ: «**وعبدٍ رزقَهُ اللَّهُ علمًا ولم يرزُقهُ مالًا فَهوَ صادقُ النيَّةِ يقولُ: لَو أنَّ لي مالًا لعَمِلتُ فيه بعَملِ فلانٍ فهو بنيَّتِهِ فأَجرُهُما سواءٌ**» (رواه الترمذي:٢٣٢٥)، فأنت بخير ما دمت تنوي الخير بصدق دائمًا.

نواقض الإيمان

بعد الحديث عن الإيمان وأركانه الستة، ومعرفتنا أنَّ الإيمان له أركان يقوم عليها، وله وسائل يزيد بها، نتعرَّف هنا إلىٰ الأعمال والأقوال التي قد تنقضها وتكون سببًا في هدمها، وهي من القضايا العظيمة التي يجب أنْ يهتم بها المؤمن ويكون علىٰ حذر منها.

المراد بالنواقض:

النواقض هي المفسدات، وهي اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تُزيل أصل الإيمان، وتُخْرِج العبد من دائرة الإسلام، وتُحبط جميع الأعمال، وتُوجب الخلود في النار، **ومن ذلك: الشرك الأكبر**، وحقيقته: اتخاذ الند مع الله، كأن يعتقد أنَّ ثمة متصرفًا في الكون بالخلق والتدبير مع الله سبحانه وتعالىٰ، أو يَصرف العبادة لغير الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، ولما سُئل النبي ﷺ عن أيِّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ**» (رواه البخاري:٤٤٧٧).

ومن النواقض التي تُخرج من الإسلام أيضًا: الكفر الأكبر، وهو عدم الإيمان بالله ورسله وشريعته، سواء كان معه تكذيب أو لم يكُن معه تكذيب، أو كان شكًّا أو إعراضًا عن هذا كله، حسدًا أو كبرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ

أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾ [الأحقاف:٣].

ومن النواقض التي تُخرج من الإسلام أيضًا: النفاق الأكبر، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، ويُسمىٰ النفاق الاعتقادي، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ [المائدة:٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون:١]، وهو من أشدِّ أنواع الكفر، لأن المنافق يتظاهر بالإسلام وهو في حقيقته كافر به ويعاديه، لذلك كانت عقوبتهم أنَّهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

أما ما دون ذلك مما يدخل في: الكفر الأصغر، وهو الذي لا يخرج فاعله من الإسلام ولا ينقض أصل الإيمان، وإنَّما ينقصه، وهو الذي ورد في النصوص تسميته كفرًا، ومن ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه سأل الصحابة رضي الله عنهم في إثر مطر كان من الليل فقال: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟ قُالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَقالَ: قالَ اللَّهُ: أصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي وكَافِرٌ بي، فأمَّا مَن قالَ: مُطِرْنَا برَحْمَةِ اللَّهِ وبِرِزْقِ اللَّهِ وبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهو مُؤْمِنٌ بي، كَافِرٌ بالكَوْكَبِ، وأَمَّا مَن قالَ: مُطِرْنَا بنَجْمِ كَذَا، فَهو مُؤْمِنٌ بالكَوْكَبِ كَافِرٌ بي**» (رواه البخاري:٤١٤٧)، وقول النبي ﷺ: «**سِبابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتالُهُ كُفْرٌ**» (رواه البخاري:٦٠٤٤)، وقول النبي ﷺ: «**اثْنَتانِ في النَّاسِ هُما بهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ والنِّياحَةُ علَىٰ المَيِّتِ**» (رواه مسلم:٦٧).

أو الشرك الأصغر، وهو ما أتىٰ في النصوص أنَّه شرك، ولم يصل إلىٰ حد الشرك الأكبر الذي ينقض أصل الإيمان ولكنَّه وسيلة إليه، قال ﷺ: «**إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ**»

(رواه أحمد:٢٣٦٣٠)، وما روي عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مَن حلَف بغيرِ اللهِ فقد كفرَ أو أشركَ**» (رواه أبو داود:٣٢٥١).

أو النفاق الأصغر، وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، ويُسمىٰ النفاق العملي، وهي خمسة أعمال: خيانة الأمانة، والكذب، والغدر، والفجور في الخصومة، وإخلاف الوعد، قال ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّىٰ يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ**» (رواه البخاري:٢٤٥٩)، وقال ﷺ: «**آيَةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعَدَ أخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ**» (رواه البخاري:٦٠٩٥).

فهذه كلها -الكفر الأصغر، والشرك الأصغر، والنفاق الأصغر- لا تُخرج من الملة ولا تنقل عن الإسلام؛ بل ينقص الإيمان بحسبها ويكون مستحقًّا للعقوبة بقدْرها، إلا أنْ يتوب صاحبُها أو يعفو الله عنه. ويبقىٰ أنَّ الكفر الأصغر أو الشرك الأصغر يُحبط العمل الذي يقترن به فقط، لأن فيه نوع التفات إلىٰ غير الله، ولكنَّه لا يحبط جميع الأعمال.

نواقض الإيمان:

نواقض الإيمان كثيرة في تفصيلاتها، لكنَّها تجتمع في ثلاثة أنواع، هي:

١. النواقض الاعتقادية.

٢. النواقض القولية.

٣. النواقض العملية.

وهذه القسمة ليست فاصلة، فبين هذه النواقض تداخل، وإنَّما هي قسمة للتوضيح.

- **أولًا: نواقض الإيمان الاعتقادية**: وصورها كثيرة، منها:

١. الشرك بالله تعالىٰ أي: الشرك الاعتقادي: وهو اعتقاد أنَّ ثمة متصرفًا في الكون بالخلق والتدبير مع الله سبحانه، أو اعتقاد أنَّ غير الله مستحقٌّ للعبادة مع الله. قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا** ﴾ [النساء:١١٦].

٢. الجحود والتكذيب، قال تعالىٰ: ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [الأنعام:٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٨]، وللجحود والتكذيب أسباب منها؛ التكبر، والحسد، والكراهية وغيرها.

٣. النفاق الأكبر أي: النفاق الاعتقادي: وهو أنْ يظهر الإسلام ويبطن الكفر، قال الله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ [النساء:١٤٥]. ومن ذلك أنْ يُكذِّب في باطنه دون ظاهره الرسول ﷺ، أو بعض ما جاء به، وكذلك أنْ يبغض الرسول ﷺ، أو يبغض ما جاء به. قال تعالىٰ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ** ﴾ [محمد:٨-٩].

٤. الشك في حكم من أحكام الله ﷻ أو في خبر من أخباره التي عُلِم ثبوتها قطعيًّا؛ كمن يشك في خبر القرآن أو في صدق النبي ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَنِّي رَسولُ اللهِ، لا يَلْقَىٰ اللَّهَ بهِما عَبْدٌ غيرَ شاكٍّ، فيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ**» (رواه مسلم:٢٧).

٥. من لم يكفِّر المشركين أو شكَّ في كفرهم، أو صحَّح مذهبهم، لأنَّ هذا تكذيب لخبر الله عنهم بأنَّهم من الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]. أما عدم تكفير شخص لم يثبت كفره فلا يدخل في ذلك.

٦. استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه.

٧. الإعراض عن دين الله تعالىٰ مطلقًا، فلا يتعلم أصل الدين ولا يعمل به، قال تعالىٰ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢].

٨. الاستكبار عن طاعة الله، قال الله تعالىٰ: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات:٣٥]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]. وهناك صور أخرىٰ كثيرة غيرها.

- **ثانيًا: نواقض الإيمان القولية**: وصورها كثيرة، منها:

١. أنْ يُسَبَّ الله تعالىٰ، أو رسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٧].

٢. أنْ يُستهزَأ بالله تعالىٰ، أو رسوله ﷺ، أو دينه، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ

بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذٗا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠].

٣. أنْ يُنكر بلسانه معلومًا من الدين بالضرورة، مثل: إنكار الملائكة، أو الجن، أو البعث.

٤. أنْ يدَّعي النبوة: قال ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله**» (رواه البخاري:٧١٢١)

٥. أنْ يدَّعي علم الغيب، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥]، وهناك صور أخرىٰ كثيرة غيرها.

- **ثالثًا: نواقض الإيمان العملية:** وصورها كثيرة، منها:

١. الشرك في عبادة الله، وهو أنْ يصرف العبادة لغير الله؛ كالذبح والنذر له، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

٢. السحر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٞ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

٣. رمي المصحف وتلويثه بالنجاسات أو دوسه بالأقدام، وهناك صور أخرىٰ كثيرة غيرها.

والخلاصة: أنَّه لا يتم التصديق بأركان الإيمان إلا باجتماع مراتب الإيمان الأربعة: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. فمن أخلَّ بشيء منها اختلَّ إيمانه بقدر ذلك.

تكفير المعيّن:

الأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتىٰ يُتحقق من كفره بمقتضىٰ الدليل الشرعي، وأهل السنة يفرِّقون بين تكفير الفعل وتكفير الفاعل، ففي الأول يطلق القول بتكفير من تلبَّس بالكفر فيقال: من قال كذا، أو فعل كذا؛ فهو كافر، ولكن الشخص المعيَّن الذي قاله أو فعله، لا يُحكم بكفره حتىٰ تجتمع فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع، فلا بد أنْ تتوفر فيه شروط التكفير وهي: أنْ يكون مكلفًا، وعالمًا، وقاصدًا، ومختارًا، وتنتفي عنه الموانع فلا يكون مخطئًا، أو مكرهًا أو جاهلًا، أو متأولًا.

مراجع للاستزادة:

١. هيا بنا نؤمن ساعة، د. مجدي الهلالي.

٢. قوادح الإيمان، د. عيسىٰ السعدي.

٣. الإيمان حقيقته وما يتعلق به من مسائل، د. محمد بن إبراهيم الحمد.

٤. جواب في الإيمان ونواقضه، د. عبد الرحمن البراك.

٥. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله الأثري.

٦. التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، علوي السقاف.

٧. التعبد بالأسماء والصفات لمحات علمية إيمانية، وليد الودعان.

٨. أثر الإيمان بصفات الله في سلوك العبد، أحمد النجار.

٩. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدي.

١٠. ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، د. عبد الله القرني.

١١. قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، عادل الشيخاني.

١٢. نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز العبد اللطيف.

١٣. نواقض الإيمان الاعتقادية، د. محمد الوهيبي.

١٤. منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، محمد العثيمين.

١٥. القوادح في العقيدة، عبد العزيز بن باز.

١٦. سؤال وجواب في أهم المهمات، عبد الرحمن السعدي.

١٧. أسئلة مهمة متعلقة بالشرك الأصغر، أحمد النجار.

التعامل مع الشبهات

ذكرنا فيما سبق أنَّ من وسائل زيادة الإيمان الابتعاد عن مواطن بث الشكوك والشبهات، والشبهة هي: **ما اشتبه علىٰ الإنسان وتردد فيه، وهي ضد العلم**، والشبهة قد تكون بسبب انعدام الدليل أو غموضه أو خفائه، أو جهل صاحبها أو اتباعه هواه وشهواته.

ونحن في زمن تعددت فيه وسائل التواصل والاتصال، ويقع في هذه الوسائل مقولات يكثر فيها العبث بمصادر التلقي وقواعد الاستدلال، ورفض أو إنكار بعض الأصول والأحكام الشرعية المحكمة، والتهوين من التزام أحكام الشريعة، وهز الثقة بكمالها، أو إضعاف اليقين بها، والمشكلة في مثل هذه الأطروحات الكبرىٰ أنَّها تُوقع المسلم في حبائل التفريط في جنب الله تعالىٰ فهمًا وسلوكًا.

وحين تخبو جذوة الإيمان في قلب المسلم، فإنَّه لا يشعر بوقوعه في دوائر الهوىٰ، لذلك كان جنس الشبهة أضر علىٰ المؤمن من جنس الشهوة، فالشهوة يُتاب منها، أما صاحب الشبهة فتوبته أصعب، ويزيد الأمر صعوبة حين تتداخل الشبهة والشهوة، فتُغلَّف بعض شهوات النفوس وأهوائها بالشبهات، وهذه الحالة تتطلب نوعًا من الصدمة الإيمانية؛ لتعيد للنفس توازنها، وتدرك الفرق بين ميولها الشخصي وتقريرات الوحي.

إنَّ بعض الشبهات منزعها هوىٰ شخصي يعتمد علىٰ العاطفة أو البُعد النفسي، ومن وقع في الشبهات أو تعامل معها من هذا الباب، فالحِجاج العلمي وحدَه لن ينفعه غالبًا، لأنه لا يبحث عن الحق بقَدْر ما يهمه أنْ تتعامل مع وضعه النفسي والعاطفي.

ولكون الحِجاج العلمي وحدَه ليس نافعًا في كل حال، وهذا مما ذكره القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤]، بل قد يكون الحجاج بوابةً لمزيد من الانحدار، فلا تزيده حجج الحق وبراهينه إلا ضلالًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥]، وذلك بسبب أهواء النفوس التي تمنعها من الانتفاع بالحق.

وينبغي أنْ نعلم أنَّ حصول العلم النافع لا يكون بالنظر والاستدلال وحده، بل لا بد من توفيق الله ومعونته، فهي من أهم أسباب حصول اليقين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

- **الأدوات النقدية لكشف الشبهات:**

إنَّ عملية الكشف عن أوجه المغالطات الموجودة في عدد من المقولات الفاسدة ليس بالأمر الصعب، لكنه يستدعي قدرًا من دقة النظر، وترك العجلة، وامتلاك بعض الأدوات النقدية التي تُمَكِّن صاحبها من رؤية مواضع الخلل منها، فمن تلك الأدوات ما يأتي:

١. **فك إجمال المقولة؛** فقد تتسم المقولة بقدر من الإجمال، فتُدخل في طياتها قدرًا من الحق وقدرًا من الباطل، فإطلاق القول بقبولها خطأ، كما أنَّ ردها خطأ أيضًا، والموقف السليم هنا في الاستفصال الذي يؤدي بصاحبه إلىٰ إدراك مواضع الحق والباطل من المقولة. مثل قولهم: الإسلام دين

التعايش. فإن كان يقصد أنَّه يُحسن إلىٰ غير المسلمين، ويعطيهم حقَّهم ولا يظلمهم، فهذا حق، وإنْ كان يقصد أنَّ التعايش يستلزم إلغاء أحكام التكفير فهذا باطل، وهكذا.

٢. **كسر سطوة الشهرة والانتشار؛** فبعض المقولات تكتسب قوة زائفة بسبب شهرتها وانتشارها وقبول كثير من الناس لها، والعاقل يدرك أنَّ مجرد الانتشار والشهرة ليس معيارًا للحق والباطل، بل معيار الحق والباطل في الأقوال والمعتقدات: ما تقوم عليه من الأدلة والحجج. مثل قولهم: الإسلام دين المساواة، فهذه الدعوىٰ مشهورة ولكنها ليست صحيحة، فالإسلام دين العدل، وهو إعطاء كل ذي حق حقه سواء اقتضىٰ ذلك المساواة أو لا.

٣. **إزالة البهرجة اللفظية:** فبعض المقولات تتسم بقدر من الصياغة اللفظية، أو العبارة الفلسفية، تحمل بعض النفوس علىٰ أن تقبلها، ولو عوملت كأفكار مجردة انكشف غالبًا وجه الخلل فيها بمجرد ذلك. مثل قولهم: هذا لا يقبله العقل، وهذه الصياغة لو تحقَّق منها الإنسان لوجد فيها جهلًا بحقيقة العقل، وحدوده ومقدار تفاوته بين الناس، ومن ثم فهو يحيل علىٰ عقل مُتوَهَّم يرد به كل حكم شرعي لا يستقيم مع هواه.

٤. **الوعي بالمقدمات الفاسدة:** فقد تتكئ العبارات علىٰ مقدمات غير صحيحة، وتحت ضغط المقولة يُسَلِّم بعضهم بمقدماتها، والمنهج الصحيح يستوجب النظر في المقدمات التي انبنت عليها المقولة، وما تفضي إليه من نتائج وآثار. مثل قولهم: يجب تقديم المصلحة علىٰ النصوص الشرعية، فهذه المقولة مبنية علىٰ مقدمة أنَّ المصالح قد تنفك عن النصوص، وهذا غير صحيح فلا يوجد في الشرع حكم بلا مصلحة.

٥. **التحرر من سجن المقولة:** فبعض المقولات تصاغ بطريقة تستدعي موقفًا إما بالموافقة عليها وإما برفضها، وهو موقف قد يكون صحيحًا مع بعض المقولات، ولكن ليس معها كلها، فليس بلازم أنْ ينحصر الموقف الصحيح في الموافقة أو الرفض، بل قد يكون الموقف الصحيح في موقف ثالث أوهمت المقولة أنَّه غير موجود. مثل قولهم: هل نقدم العقل أو النقل؟ والصواب ليس في أحد الخيارين، وإنما في تقديم القطعي منهما كما تقدم شرحه.

٦. **ملاحظة السياق الذي تُوضع فيه الشبهة:** فكثير من المقولات قد تكون حقًّا من حيث هي، لكن يَرِد الإشكال في طبيعة السياق الذي توظف فيه، فإذا وضعت كلمة حق في سياق باطل، أوهمت معنىٰ باطلًا. مثل قولهم: المسألة فيها خلاف، فهذا صحيح في المسائل الاجتهادية، ويأتي الخلل من استحضار الخلاف لتتبع الرخص والتهاون في أداء الواجبات.

٧. **إدراك اللوازم والمآلات:** فكثير من المقولات لا تتضح مشكلاتها إلا بملاحظة ما يترتب عليها من لوازم، وما يمكن أنْ تُفضي إليه من مآلات، وهذه تحتاج إلىٰ دقة نظر وفهم. مثل قولهم: ليس هناك دليل قطعي، وهذا يعني عدم حجية النصوص غير القطعية، وبناء عليه تُلغىٰ كثير من أحكام الشريعة الظنية، وهذا اللازم باطل قطعًا.

٨. **العناية بالأصول المركزية للأفكار:** فإدراك الأصل الفكري للمقولات يُمكِّن من معرفتها وإدراكها، وتمييز باطلها. مثل قولهم: الإسلام يدعو إلىٰ الحرية، وقائلها يتبنىٰ المفهوم الليبرالي للحرية ويتأول بعض النصوص الشرعية لها.

٩. **كشف المضمرات الفاسدة:** بعض الناس يحملهم علىٰ تبني بعض المقولات مضمرات خارجة عن مضمونها المعرفي. مثل قولهم: أكثر الناس يقولون هذا ويفعلونه، والحكم هنا خيار الأكثرية لا المعرفة، وهناك من قد يدفعه الكبر والحسد والعصبية وحب المال أو الجاه وغير ذلك إلىٰ تبني بعض المقولات الباطلة.

١٠. **لا يلزم من صحة الدليل صحة الاستدلال:** فقد يستدل البعض بدليل صحيح ولكن يحمله علىٰ غير وجهه، مثل: من يستدل بحديث «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**» (رواه مسلم:٢٣٦٣) علىٰ حث الشارع علىٰ الفصل بين الدين والدنيا، وهذا باطل.

١١. **الوعي بأساليب تمرير الشبهات،** فبعض المقولات لا يكون الهدف منها تقرير المقولة الجزئية، وإنما تمرير بعض المفاهيم والمعاني التي تقوم عليها، ومجرد قبول مناقشتها دون تمييز يعد معنىٰ باطلًا بحد ذاته. مثل: من يبدأ الحوار انطلاقًا من مُسلَّمة أنَّ الدين عنيف، ثم يناقش بعض الأحكام والحدود. فنقاش المسألة الجزئية وحدَها يجعلك تتبنىٰ هذه المُسلَّمة دون مساءلة.

- **خطوات عملية لتفكيك الشبهة:**

حينما تَرِد علىٰ الإنسان شبهة يجب ألا يجعل قلبه مثل الإسفنجة، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها، ولكن يجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وهذا سر من أسرار تشريع طلب الهداية في اليوم والليلة أكثر من (١٧) مرة، عن طريق تكرار سورة الفاتحة، قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٥-٦]. فإن حُملت القلوب علىٰ حبِّ الحق والاستجابة له؛ انقادت وأسلمت، أما إنْ تُركت مرتعًا لكلِّ

عارضٍ تتقبله من غير تمييز فإنها تكون عُرضةً للشبهات والوساوس. وعليه فإنْ عرضت للإنسان شبهة فعليه أنْ يتعامل معها علىٰ أنَّها شبهة وليست أمرًا محكمًا، وعليه أنْ يتعامل معها وفق القواعد والأصول الآتية:

١. الأصل المحكم هو وجوب عدم الاستماع للمتشككين، والابتعاد عن مواطن الشبهات وأصحابها. ويجب أنْ يعرف المسلم أنَّ الشبهات والتعامل معها نوع من العلم، فمن لم يكُن من أهل العلم بها، فلا يجوز له الخوض فيها. وقد حذر الرسول ﷺ من الاقتراب من الشبهات، فقال محذرًا من فتنة الدجال: «وإنَّ الرجل ليأتيه، وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث فيه من الشبهات» (رواه أبو داود:٤٣١٩).

٢. لا بد من السعي إلىٰ معرفة الأدلة العقلية والنقلية علىٰ صحة الإسلام، والقرآن، والنبوة، ومعرفة الثوابت، بأدلة محكمة، ولا بد للإنسان من الزاد الإيماني. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

٣. إنَّ قوة الشبهة ليست في ذاتها، بل تقوىٰ بسبب ضعف العلم الذي يملكه المتلقي. فكلما كان الإنسان عالمًا؛ ضعفت الشبهة واندثرت، وكلَّما قلَّ علمه؛ فإنَّ الشبه قد تؤثر في إيمانه وتزعزع يقينه، فصراع الأفكار كصراع الأبدان، فالبدن الهزيل لا يستطيع أنْ يقاوم بدنًا أقوىٰ منه، وعليه قبل أنْ يصارعه أنْ يتدرب ويتعلم.

٤. يجب أنْ نقوم بتحليل الشبهة، هل هي تعارض حقًّا نصًا وتقريرًا شرعيًّا أصيلًا، أو هي معارضة لرأي غير معتبر شرعًا؟

٥. لا نقبل أي دعوىٰ دون دليل، فأي دعوىٰ لا بد من ذكر الدليل عليها، ولا نقبل مجرد الدعاوىٰ المبنية علىٰ الانطباعات الذاتية والأهواء الشخصية. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

٦. إذا كان الدليل علىٰ الشبهة موجودًا، فهل الدليل يقود لنفس نتيجة الدعوىٰ؟ هل الدليل مجتزأ؟ هل هناك نصوص تم تجاهلها أو إغفالها؟ هل الفهم للدليل صحيح؟ فمثلًا من يطعن بالسنة غالبًا يحتج بالأحاديث والآثار التي توافق هواه فقط دون سواها.

٧. من القواعد المحكمات: **ردُّ المتشابه إلىٰ المُحْكَم**، وكما عرفنا فإنَّه من المستحيل أنْ تتعارض الأمور القطعية في المعقول والمنقول. وأصل الشبهة يأتي غالبًا من عدم التفريق بين ما يحتار منه العقل وبين ما يجزم العقل باستحالته.

٨. معرفة أنَّ وجود المتشابه هو من باب الاختبار والابتلاء، والتربية علىٰ النظرة الشمولية، وإظهار التفاضل في العلم والفهم والإيمان، وعلينا أنْ نجتهد في تحصيل العلوم التي تعين علىٰ فهم المتشابه وتعين علىٰ اتساع المدارك.

٩. لكل مسألة مشكلة إجابة، ومهمتنا هي البحث عنها، فالدين كامل وصالح لكل زمان ومكان، ومما يساعدنا في ذلك البحث والاطلاع علىٰ ردود المتخصصين في هذه الأبواب.

١٠. وقبل كل ما سبق وفي أثنائه وبعده الإكثار من الدعاء والاستعانة بالله، وسؤاله الثبات علىٰ الحق حتىٰ الممات.

- **مهارات للتميز في الرد علىٰ الشبهات:**

١. تعزيز اليقين وترسيخ الإيمان والخشية والتعلق بالله تعالىٰ، والتزود المعرفي في باب الإيمان، ومحاسن الإسلام، كل هذا ببراهين صحيحة.

٢. كثرة التعبُّد لله في الخلوات، قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، فالتعبُّد حبل المؤمن الممتد إلىٰ الله تعالىٰ، والإكثار من

الدعاء والثناء على الله تعالىٰ وسؤاله التوفيق والسداد، والإكثار من ذكر الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥]، وأعظم الذكر: قراءة القرآن وتدبره.

٣. التأصيل الشرعي في مختلف أبواب الشريعة الإسلامية، ومن أهمها: الإيمان، وأصول الفقه، والتفسير، وعلم الحديث، وعلوم اللغة العربية. وضبط منهجية التلقي والاستدلال عند أهل السنة.

٤. العمل علىٰ توسعة الوعي الفكري المعاصر، والإلمام بأصول الشبهات المعاصرة وتاريخها ورموزها، وهو أمر يأتي بعد مسألة التأصيل الشرعي.

٥. تعلم مهارات الجدل والحوار، والمهارات البحثية والنقدية، فالمهارة قدر زائد علىٰ مجرد العلم.

٦. التحلي بأخلاق القرآن والتأسي بالمنهج النبوي في العلم والتعليم والدعوة، قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥].

٧. محاورة أهل العلم وسؤال المتخصصين وأهل الذكر منهم، فالحوار والنقاش معهم من أهم أدوات بناء الملكات. قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

٨. معرفة أنَّ صاحب الهوىٰ لا تنفعه الحجج ولا تزيده البراهين إلا بُعْدًا، فمن لا يبحث عن الحق بصدق؛ فسوف يتجاهله عندما يظهر له.

مراجع للاستزادة:

١. زخرف القول، د. فهد العجلان وعبد الله العجيري.

٢. أسس غائبة، أحمد حسن.

٣. سابغات، أحمد السيد.

٤. الإجابة القرآنية وأسئلتك الوجودية، مهاب السعيد.

٥. أصول الخطأ في الشبهات المثارة حول الإسلام، أحمد السيد.

٦. فتاة الضباب، مجموعة مؤلفات.

٧. التسليم للنص الشرعي، د. فهد العجلان.

٨. ينبوع الغواية الفكرية، عبد الله العجيري.

٩. تربية الملكة على رد الشبهة، وليد السعيدان.

١٠. منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة، د. عبد الله الدميجي.

١١. صناعة التفكير العقدي، مجموعة مؤلفين، تحرير: د. سلطان العميري.

الخاتمة

وختامًا فإنَّ الله قد حثَّ علىٰ الاستزادة من الإيمان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦]، وأخبرنا بأنَّ فلاح العبد وعزته لا يكون إلا بالإيمان، فقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، وأخبرنا بأنَّه قد كتب المغفرة والجنة للمؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الحج:٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]، فاللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا الإيمان وزيِّنْه في قلوبنا، وكرِّهْ إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعَلْنا من الراشدين.

المصادر والمراجع

١. آثار الإيمان باليوم الآخر من تفسير الطبري، د. سعود العقيل.

٢. أثر الإيمان بصفات الله في سلوك العبد، أحمد النجار.

٣. الإجابة، القرآن وأسئلتك الوجودية، مهاب السعيد.

٤. الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي.

٥. أسباب دخول الجنة، ندا أبو أحمد.

٦. أسس غائبة، أحمد حسن.

٧. أشراط الساعة، يوسف الوابل.

٨. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء.

٩. أصول الخطأ في الشبهات المثارة حول الإسلام، أحمد السيد.

١٠. إعجاز القرآن في دلالة الفطرة علىٰ الإيمان، د. سعد الشهراني.

١١. أفي النبوة شك، د. سامية البدري.

١٢. الانتصار للتدمرية، ماهر أمير.

١٣. أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرىٰ، محمد المصري.

١٤. أهمية الإيمان بالملائكة وعلاماته النفسية والاجتماعية والخلفية، د. محمود سعدات.

١٥. الإيمان بالقرآن، عبد العزيز المطيري.

١٦. الإيمان بالقضاء والقدر، د. محمد بن إبراهيم الحمد.

١٧. الإيمان بالكتب، أحمد النجار.

١٨. الإيمان بالكتب، د. محمد الجهني.

١٩. الإيمان بالملائكة حقيقته وتأثيره في حياة المؤمن، الحضرمي الطلبة.

٢٠. الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة، د. صالح الفوزان.

٢١. الإيمان بما بعد الموت (مسائل ودلائل)، أحمد النجار.

٢٢. الإيمان حقيقته وما يتعلق به من مسائل، د. محمد بن إبراهيم الحمد.

٢٣. البراهين العقلية علىٰ وحدانية الرب ووجوه كماله، عبد الرحمن السعدي.

٢٤. تثبيت حجية السنة، أحمد السيد.

٢٥. تربية الملكة علىٰ رد الشبهة، وليد السعيدان.

٢٦. التسليم للنص الشرعي، د. فهد العجلان.

٢٧. التعبد بالأسماء والصفات لمحات علمية إيمانية، وليد الودعان.

٢٨. تنزيه القرآن الكريم عن دعاوىٰ المبطلين، منقذ السقار.

٢٩. توحيد الألوهية، محمود العشري.

٣٠. التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، علوي السقاف.

٣١. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدي.

٣٢. جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح القدر، تامر متولي.

٣٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية.

٣٤. جواب في الإيمان ونواقضه، د. عبد الرحمن البراك.

٣٥. حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق.

٣٦. حقوق النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أمته، د. محمد التميمي.

٣٧. الحياة الآخرة ما بين البعث إلىٰ دخول الجنة أو النار، د. غالب عواجي.

٣٨. خلاصات في مباحث النبوات، د. عيسىٰ السعدي.

٣٩. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، محمد الأعظمي.

٤٠. دلائل النبوة، منقذ السقار.

٤١. الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، عبد الرحمن السعدي.

٤٢. الرجل ذو السروال الأحمر، عبد الرحيم جرين، ترجمة: مركز دلائل.

٤٣. الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر.

٤٤. زخرف القول، د. فهد العجلان وعبد الله العجيري.

٤٥. سابغات، أحمد السيد.

٤٦. شروط شهادة أن لا إله إلا الله، محمد عبد الله مختار.

٤٧. شموع النهار، عبد الله العجيري.

٤٨. كتاب الصلاة، ابن القيم.

٤٩. عالم الملائكة الأبرار، د. عمر الأشقر.

٥٠. عقيدة أهل السنة والجماعة، د. محمد إبراهيم الحمد.

٥١. العقيدة في الله، د. عمر الأشقر.

٥٢. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف.

٥٣. الفرق بين النبي والرسول، د. ذياب العلوي.

٥٤. الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس.

٥٥. القبر عذابه ونعيمه، حسين العوايشة.

٥٦. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، د. عبد الرحمن المحمود.

٥٧. القضاء والقدر، د. عمر الأشقر.

٥٨. قوادح الإيمان، د. عيسىٰ السعدي.

٥٩. قواعد أهل الأثر في الإيمان بالقدر، أحمد النجار.

٦٠. قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، عادل الشيخاني.

٦١. كامل الصورة، أحمد السيد.

٦٢. مباحث الربوبية والقدر، د. عيسىٰ السعدي.

٦٣. المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل، أحمد النجار.

٦٤. مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية.

٦٥. المختصر في مسائل الإيمان، د. عيسىٰ السعدي.

٦٦. المخرج الوحيد، د. عبد الله بن سعيد الشهري.

٦٧. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة، د. إبراهيم البريكان.

٦٨. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان ضميرية.

٦٩. معالم الرحمة في عقيدة الإيمان باليوم الآخر، د. عبد السلام يوسف.

٧٠. مفتاح دار السعادة، ابن القيم.

٧١. مقدمات في الاعتقاد، د. ناصر القفاري.

٧٢. مقدمة في عقيدة السلف، د. عيسىٰ السعدي.

٧٣. الملائكة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية موضوعية، د. عبد المنعم الحواس.

٧٤. منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة، عثمان علي حسن.

٧٥. النبأ العظيم، محمد دراز.

٧٦. نظرات في التربية الإيمانية، مجدي الهلالي.

٧٧. نواقض الإيمان الاعتقادية، د. محمد الوهيبي.

٧٨. نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز العبد اللطيف.

٧٩. ينبوع الغواية الفكرية، عبد الله العجيري.

٨٠. اليوم الآخر في القرآن الكريم والسنة النبوية، د. عبد المحسن المطيري.

٨١. اليوم الآخر، الجنة والنار، د. عمر الأشقر.

٨٢. اليوم الآخر، القيامة الصغرىٰ، د. عمر الأشقر.

٨٣. اليوم الآخر، القيامة الكبرىٰ، د. عمر الأشقر.

٨٤. مقال: العلاقة بين الدين والعلم التجريبي، محمد بن عبد الله القرني.

٨٥. مقالات: أدلة صدق الرسل، وبماذا يتحقق الإيمان بالأنبياء، ومن خصائص النبي ﷺ، لعبد الله القصير.

٨٦. مقال: التقديرات الإلهية وكتابة الأعمال، أكرم غانم تكاي.

٨٧. مقال: مشيئة الله وإرادته، محمد المطري.

٨٨. مقال: نواقض الإيمان، د. محمد السحيم.

٨٩. مقال: المنهج في فهم صفات الله، عادل العزازي.

٩٠. مقالات: الحكمة من اليوم الآخر، وكيفية البعث يوم القيامة، وكيف يكون الإيمان بالقدر، لعبد الله القصير.

٩١. مقال: أدلة وجود الله، د. البشير عصام المراكشي.

٩٢. مقال: حجية السنة النبوية المطهرة، محمد عبد الرحمن صادق.

٩٣. مقال: السكينة والاطمئنان في آيات من القرآن، د. عبد السميع الأنيس.

٩٤. مقال: أهمية توحيد الألوهية وكيفية تحقيقه، محمود العشري.

٩٥. مقالات: كيفيَّة الإيمان بالكتب، والإيمان بالقرآن الكريم، لعبد الله القصير.

٩٦. مقال: منهج أهل السنة في الاستدلال وخصائصهم، أ. د. ناصر القفاري.

٩٧. مقال: لا إله إلا الله فضلها وآثارها، د. سعد البريك.

٩٨. مقال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، محمد طه شعبان.

٩٩. مقال: حكمة إرسال الرسل، محمد العثيمين.

١٠٠. موقع الدرر السنية.

١٠١. موقع الإسلام سؤال وجواب.

١٠٢. موقع صيد الفوائد.

١٠٣. موقع ملتقىٰ أهل الحديث.

١٠٤. موقع السبيل.

١٠٥. موقع مركز سلف للبحوث والدراسات.

١٠٦. موقع شبكة الألوكة.

١٠٧. موقع ابن باز.

١٠٨. موقع ابن عثيمين.

١٠٩. موقع د. خالد السبت.